بدار..

نبتة ماءٍ آسن

بدار نبتة ماءٍ آسن **(رواية)**

عبدالكريم بن محمد النملة **(كاتب سعودي)**

الطبعة الأولى 2022

© حقوق الطبع محفوظة بموجب عقد 2022.

الآن ناشرون وموزعون

المدير العام: د. باسم الزعبي

الأردن، عمّان، شارع الملكة رانيا، بجانب صحيفة «الرأي»، مجمع المفلح التجاري(87)، ط1.

هاتف: 797162720، 65620722 (962+)

alaan.publish@gmail.com

تصميم الغلاف: بسام حمدان

All rights reserved. No part of this book may be reproduced، stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

ISBN: 978-9923-13-426-9

لمملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(6708/ 12/ 2021)

813.03

النملة، عبدالكريم محمد

بدار: نبتة ماء آسن / عبدالكريم محمد النملة / عمان: الآن ناشرون وموزعون، 2021

(112) ص

ر. إ: 6708/ 12/ 2021

الواصفات: الروايات العربية/ / الأدب العربي/ / العصر الحديث/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

عبدالكريم بن محمد النملة

بدار..
نبتة ماءٍ آسن

رواية

إهداء

إلى حفيدي الغالي: عبدالكريم بن محمد النملة

(كيّم النمال)

حبٌّ.. وأمنيات

(1)

في عتمة ليلٍ بهيم يتسـلل من خلف الآكام، خائفًا مترقبًا متلفّتًا، يقفز قلبه كغزالٍ مذعور، حافي القدمين أشـعث، يرتدي ثوبًا متسـخًا متمزّقة أطرافه، كان يظنهم ما زالوا يتعقبونه للإمساك به وقتله، يطوي بين أضلاعه كمدًا باطنًا يقرص قلبه، تغوص قدماه في الأرض الترابية الغبراء، يسرع متفاديًا نبتات الصحراء التي تخدش أطرافها اليابسة قدميه، عمامة حمراء يلفها حول رأسه بقوّة، يصل إلى تخوم المدينة وهو ما يزال يتلفّت بهلع.

على الحدود الجنوبية للمدينة تتوزع ورش صناعية يعمل بها عمال من جنسيات مختلفة، من الباكستان والهند وجنسيات أخرى مختلفة، ورش حدادة وورش نجارة وورش إصلاح السيارات.

يسير في الطريق الترابي خلف الورش كشريدٍ في متاهة، يركض هاربًا من شبحهم.. من فعلته الرعناء.. من إثم لازب، بقلب يرجف ويتلفّت في كل لحظة، إلى أن ابتعد عنهم وظن أنه قد نجا من ملاحقتهم.

في ممرات ضيّقة تفصل الورش عن بعضها بعضًا يُرهف السمع، فتأتي أصوات عمال يتحدّثون، ربما كانوا يسمرون في تلك الليلة الظلماء، نسمة هواء صيفية تصافح وجهه فيشعر بلذّتها، أجفله صوت محرّك سيّارة عابرة تنقل عمّالًا، يقرر أن يطرق باب غرفة العمال،

فقد أنهكه الجوع والعطش وأمضّه التعب، فتح عامل باكستاني الباب، سـأله ما بك؟ لم يجب؛ بل أشـار إلى فمه وكأنه يطلب لقمة طعام، أشـفق عليه العامل وأفسـح له المكان، ثم أتى له بقطعة خبز وفتح له علبة جبنة صـفراء، وقام بإعداد الشـاي، بعد أن أكل وشـرب الشـاي استأذن أن ينام خارج الغرفة، رفض العمال الآخرون الفكرة، وقذفوا له ببطانية ومخدة ودعوه ينام في أقصى الغرفة.

كان منهكًا فاترًا دخل في النوم فور تمدده على الأرض.

لكن نومه لم يكن هانئًا متصـلًا بل كانت تقذف به الأحلام والكوابيس إلى حيث كان هناك، كان يراهم يركضـون خلفه في طريق طويل، تتقاذفه ألسـنتهم بالسـب والشـتم والوعيد، يعضّ على طرف ثوبه ويركض بأقصى ما يستطيع من قوّة، لم يكن يلتفت إلا نادرًا حين تخفت أصـوات شـتائمهم ووعيدهم، فيلتفت بسـرعة وهو في أشـدّ مراحل اندفاعه هربًا، ولا يزيده بُعدُهم عنه إلا مضـاعفة جهده وإصـراره على الإفلات منهم، وحين يُنهكون ويبتعدون ويرى أنه في مأمن منهم، يعمد إلى تغيير جهة سيره وركضه فيندفع شمالًا بسرعة البرق، بحيث لا يلمحونه، فيتابعون تعقبهم له نحو الغرب.

***

(2)

تكالب عليه.. فقرٌ وحظ رديء، عقدا سـوارًا يُطوّق أيامه، وفي منعرجات طُرُقه، وكلّما رام فكاكًا وظن أنه يغلب الزمن؛ أبطأت به نفسه، صحيح أن صحته مضرب الأمثال لكل من أراد أن يستشهد برجل قوي البنية مكتمل الصحة يكاد الدم ينفر من خده القاني.

قبيلته باذخة الصيت لم تلتفت إليه، بل تحامته لفقره وعوزه، وهو بدوره ابتعد عن أسرته، وعاش منبوذًا من الجميع!

في غرفة حقيرة أكسبها القِدم رائحة العفونة، خلف ورشة حدادة، اتخذها مسكنًا له، سرير حديدي متآكل الأطراف وجده في طرف الورشة مهملًا، فشدّه الحداد بدعائم حديد تُبقيه صالحًا لحمل جسده الكبير، ومع السرير جلب له الحداد -متعاطفًا- طاولة حديد تترنح أعاد لحام قوائمها كي تثبت فوقها الأشياء، وضعها «هادي» بجانب سريره، وفرش فوق السرير مرتبة إسفنجية منبعجة الوسط، متآكلة الأطراف، ومخدة ذبلت نضارتها منذ زمن طويل، وضع هادي علبة الصلصة الفارغة منفضة سجائر، ثمّ وضع بجانبها مذياعًا منحه له العمال الذين التجأ إليهم في ليلته الأولى نوع (ناشونال باناسونيك) ذا غطاء جلدي بُني اللون؛ كي يغمر عالمه بأشباح الطمأنينة الكاذبة!

بجانب غرفته حمام صغير دون باب، يقضي فيه حاجته، ولا وجود فيه لصنبور ماء، إذ يمدّ له أنبوب ماء من حمام آخر داخل

الورشة، فهو لا يحتاج إليه غالبًا إلا في الوضوء إذا أراد مرّة أن يُصلي، إذ إنه من النادر أن يمس الماء جسده إلا حين يجده مضطرًا لذلك بسبب حلم شقي سال في أوردته، بعثته تلك الصور الملونة من المجلات المصرية التي يجدها غالبًا متكوّمة حول حاويات القمامة في طريقه، ينفض ما علق بها، ويضعها تحت إبطه، ويقلّبها في غرفته مستمتعًا بفتيات الفنّ والغناء، ينسج له خياله الشبِق ألوانًا من علاقات حميمة.. يصبُّ الماء على جسده في الصباح من أثر أفعالها!

في المساء وحين تخلو الورش من العاملين وتنجلي غمّة الأدخنة والروائح من الجو، يقتعد كرسيًا خارج غرفته، بجانب حوض صغير زرع فيه أحد عمّال الورشة شجرة ريحان متمددة الفروع، يحرك إبرة المذياع على موجات عديدة، «يبرطم» المذياع بلغات شتى لا يعيها، إلى أن يصل إلى إذاعة صوت العرب التي تبثّ أغنيات وطنية ومنوعات من الغناء الرومانسي، وبرامج منوّعة، يستمتع بتناول الشاي والسجائر والاستماع إلى صوت المذياع، كانت هذه الساعة من يومه هي فقط الساعة التي يجد فيها نفسه إنسانًا.

في الصباح، يخرج من كآبته، يقف أمام باب غرفته، يتطلّع إلى السماء، زرقة السماء تُنعشه، يبصر سرب يمام يحوم في السماء، يبتسم لجمال طيرانه، أحد عمّال الورشة يبدأ في غناء شجي، عامل من الجنسية الباكستانية، يغني بالأوردو أغنية ربما تكون شوقًا إلى أهله أو حزنًا على غربته الطويلة ، لكنّ صوت غنائه ملك سمعه

وقلبه، لم يشأ الخروج من أثر الصوت الشجي، صوت العامل وحنين الغناء أثارا شجونه، تذكّر نفسه وغربته الأزلية في بلاده، قبل أن يخرج إلى الشارع انقدح في ذهنه سؤال واحد ظلّ يطرق توقعاته بإزاء ما يمكن أن يحدث لو لم يجد عملًا، انحدر في الدرب المُغبر، باتت الأرض صلبة تحت قدميه، قرر أن يُمضي سحابة يومه في البحث عن رزقه هنا أو هناك، بعد بحثٍ مُضْنٍ عن عمل كأن يساعد عمّالًا في نقل صناديق من مستودع إلى سيارة نقل، أو حين يمرُّ في طريقه بعمال يخلطون الإسمنت أمام بيت تحت الإنشاء، فيقف معهم ويسألهم إن كانوا بحاجة إليه ليساعدهم فيدفعون له في نهاية عمله ثمنًا بخسًا، دراهم معدودة يُقلّبها بين أصابعه ثم يُقبّلها ويدسها في جيب ثوبه ويمضي، لكن نقل الصناديق من المستودع إلى سيارة النقل استهواه، فقد وجد نفسه ضمن خمسة عمّال أشداء من الجنسية اليمنية، وكان يقبض في نهاية العمل مبلغًا جيدًا، حين عاد في اليوم التالي إلى المستودع وجده مغلقًا، ولا أثر لسيارة النقل حوله، ثم وجد غرفة صغيرة من الألمنيوم، فتح بابها فاندفع هواء بارد في وجهه أنعشه ولطّف سخونة وجهه من أثر أشعة الشمس، وجد رجلًا سمينًا وجهه نضّاح بالعافية يجلس خلف مكتب صغير تناثرت عليه أوراق كثيرة بغير ترتيب، كان الرجل السمين مصري الجنسية يدخّن بشراهة، وقد فتح أزرار قميصه العلوية فاندفعت كتلة لحم تتأرجح تحت ذقنه، وبان صدر أملس كأنه صدر امرأة، أمامه كأس شاي قاتم بارد غُطي

بورقة صغيرة، جلس هادي بجانب مكتبه، فلما فرغ من عمله واتصالاته، ألان ملامحه وابتسم للقادم و سأله عن بُغيته، اهتزّ جسد هادي، وطلب بصوت متحشرج أن يخبره إن كان يستطيع أن يجد له عملًا لديهم، أجابه الرجل بقوله:

- هذا يا بُني مستودع، والمستودع لا يحتاج إلى عمال.
- يوم أمس عملت مع العاملين في نقل الصناديق من المستودع إلى سيارة النقل؛ فهل هناك نقل آخر يوم غد؟
- لا يا بني، النقل يتم بين الحين والحين حين نريد نقل بضاعة إلى مدينة أخرى.

ثم فتح درج مكتبه وأخرج بطاقة بحجم الكف، عليها صورة سيارتيْ نقلٍ متقابلتين وكُتب تحتهما (مكتب صابر لترحيل البضائع لكافة المدنٍ)، مدّ له البطاقة وقال: اذهب إلى هذا المكتب فستجد عنده عملًا يناسبك.

مضى مترنحًا من شدّة البؤس، تضجُّ أحزانه وهواجسه في عروقه، جسده يتمايل، مضمّخًا بالحزن، طحنه الزمن وغدر الوفاء، عاش الأزمنة المُهلكة والسنوات العجاف، كانت هزائمه تتراكم كجبل، يسير نحو أُفق مظلل بالضباب وليل بهيم لم يولد له قط نجمٌ يلمع، جسدٌ مُشربٌ بالرغبة والشوق إلى حياة نابضة بالرخاء، حياة غير ذات عوز و شقاء، أشقته رغباته و شهواته، لم يصمد مرّة أمام نزوة يرى أنه قادر على قطف ثمرتها، يفعل ثم يندم، تغيب عن عقله كل العقبات

والعقوبات اللاحقة، فقط حين يتأجج جسـده بالرغبة، يهيج كحيوان شـرس، ولا ينطفئ أوار هيجانه حتى يعتلي ضـحيته ويُفرغ سـخونة جسده ولهيبه ثمّ يفرّ من ضحيته هاربًا منها ومن نفسه، أخرج البطاقة التي عليها العنوان من جيبه، مرّ طيف ابتسـامة فرح على شـفتيه وهو يتهجى الحروف محاولًا معرفة أين المكان!

***

(3)

تُرسل الشمس أشعتها العمودية الحارقة، أذان الظهر يُخفتُ جلبة السائقين ويُطفئ محركات سيارات النقل، أرض ترابية مُتسعة المساحة، تصطفُّ فوقها عشرات من سيارات النقل الطويلة، بعضها يحمل بضائع وأخرى فارغة، العشرات من العمال اليمنيين يتجمّعون لدى مكان الوضوء خارج المسجد، بعضهم فرغ من وضوئه وأخذ ينفضُ ذراعيه، ويمسح وجهه المتقطّر من ماء الوضوء، لم يذهب هادي إلى مكان الوضوء بل توجه ناحية المسجد متوجسًا خائفًا يحسب كل صيحة عليه، يراقب المصلين المتجمعين حول المسجد وكأن بينهم من يراقبه ويرصد تحركاته، وحين يتأكد أن نظراتهم متنقّلة لا تقف عليه تطمئن نفسه.

المسجد من الداخل يضجّ برائحة عرق وماء، بعد الصلاة خرج المصلون وتجمّعوا تحت الناقلات يستظلون بظلها الطفيف، انهمكوا في طبخ طعامهم، وفتح بعضهم درجًا أسفل الناقلة، ومدّه ليصير طاولة يضع عليها البوتاجاز الصغير وبجانبه قِدرٌ يُقطّع فيه البصل والطماطم، كانت رائحة الطبخ تضوع في المكان، فيما ألجأ لهيب الشمس آخرين على التمدد والنوم تحت مقطوراتهم، وآخرون يدخنون وقد تحلّقوا في الظل حول إبريق الشاي، مرّ هادي بينهم باحثًا عن العمال الذين رآهم يوم أمس ينقلون الصناديق على

ظهورهم من المستودع إلى سيارة النقل الكبيرة، وحين لمح أحدهم أو من يُشبهه وهو مقبل من المسجد، صافحه مذكّرًا إياه بنفسه، ثم سأله أين يقع مكتب صابر؟ أشار الرجل إلى عدة دكاكين بعيدة في طرف الأرض الجنوبي، واصفًا مكتب صابر بأنه ثالث دكان على يمين القادم، سار نحو المكان، رأى من بعيد لوحة الدكان، ورأى شبح رجل داخله، خفق قلبه بعنف واجتاحته رهبة ما لبثت أن تحولت إلى فرح. صابر شاب وسيم في العشرين من العمر تقريبًا، يلبس ثوبًا رماديًّا وغترة حمراء اللون ويجلس في محل يخلو من كل شيء سوى طاولة مكتب وكرسي أمامها، لم تكن على المكتب أوراق أو أقلام، فقط كأس شاي صغير خفيف اللون، وهاتف أخضر اللون، يشبك صابر أصابع يديه أمامه على المكتب وكأنه ينتظر قدوم أحد، صافحه هادي بمودة، شعر هادي باطمئنان لا يعرف له سببًا وانصبابًا إليه، هل لأنهما في العمر نفسه تقريبًا، أم لأن ملامح صابر كانت ودودة جالبة؟!

شرح هادي لصابر طلبه، وأنه يمكن أن يعمل ليل نهار في نقل الصناديق والبضائع من وإلى سيارات النقل، كان صابر يتفرّسه بعينين مشفقتين، وقال له ألا تجيد عملًا غير العِتالة، قال هادي إنه لا يقرأ ولا يكتب، ولا يعرف إلا رعي الغنم في الصحراء!

صمت صابر، امتدّ صمته طويلًا، ثم نادى بصوت قوي: هود.. هود..

كان هود هو مساعده الحضرمي، هود رجل كهل يمشي متمايلًا كأن به عرجًا طفيفًا، سأله صابر: أين ناجي؟ رد هود بإشارة من رأسه أنه في الخارج، قال له صابر: أحضره، بعد قليل دخل ناجي، شاب يمني ذو عضلات وجسد قوي متماسك، قال له صابر مشيرًا إلى هادي: هذا الشاب عتّال نشط سيرافقك من اليوم، أشرق قلب هادي وشعَّت الفرحة في وجهه وتبع الرجل.

كلّ مساء يعود هادي بصحبة ناجي، يكون مثقلًا مُنهكًا من عمل يوم طويل في حمل الصناديق الثقيلة من المستودع إلى سيارة النقل، أو إنزال الصناديق الثقيلة من على سيارة النقل إلى المستودعات، عمل شاقٌّ مُضنٍ، بعد نحو عشرة أيام من عمله بصحبة ناجي، قال له ناجي وهما في طريق العودة «صابر يريدك»، دخل الدكان، وجد صابر يتحدّث مع ثلاثة من سائقي الناقلات الذين يقفون أمامه، وكأن بينهم خلافًا على قيمة النقل، جلس على المقعد الوحيد دون أن يستأذن في الجلوس، فقد كانوا في خلاف حاد ولم يفطنوا لوجوده، فهم بعد ذلك أن صابر لديه طلب نقل بضائع من ميناء مدينة حدودية في شرق البلاد ، وأنه بحاجة إلى سيارتيْ نقل، ثم اتفق صابر مع اثنين من السائقين الثلاثة واستغنى عن الثالث وذلك لأن سيارة النقل التي يملكها صغيرة نسبيًّا، خرج الرجال وهم على وعد أن يسافروا غدًا بعد أن يُحمّلوا بضائع من مكان في وسط المدينة قريب من مكتب صابر وينقلوها إلى المدينة الحدودية الساحلية!

بعد خروجهم التفت إليه صابر وقال:

- هل تسافر معهم غدًا؟

لم ينتظر إجابته وأكمل: أربعمائة كيلو متر، وتصلون الميناء، تُحمّلون من الميناء، وقبل ذلك تُنزلون الحمولة التي تنقلونها من هنا، ثلاثة أيام فقط، أجرتها تعادل عمل ثلاثة أسابيع، وأنت بحاجة إلى المال، أليس كذلك؟ حين همّ بالحديث قام صابر وأمر العامل الذي يقف أمام الباب منتظرًا خروجهم، وقال له أغلق الباب.

في صهد الشمس ساروا، ثلاثة أشخاص يقطعون طريقًا طويلًا، كانوا يتحدّثون عن كل شيء، عن المال والحياة والنساء، وبعد أن تعامدت أشعة الشمس على الأرض وأصبحت الرياح سمومًا حميمًا أخذوا يخففون من وطأة الحرّ بشرب الماء البارد، وبينما كان الرجلان بجانبه يهيمان في أحاديث طويلة سافرت عيناه بعيدًا في عمق الصحراء، هناك خلف تلك الجبال البعيدة سمع أصواتهم يهمهمون، ينسجون عالمًا من العذاب إن هم رأوه حيًّا، أو قبضوا عليه، ساعة زمنية انفلتت من عِقالها فقذفت به بينهم، كانوا رجالًا أشداء حاقدين، تجمّعوا حوله، بينما أتت امرأة مسنّة لكنها صلبة عنيدة تحمل في يدها عصا غليظة تحيّنت الفرصة فهوت بالعصا على رأسه، أخذ يتلوّى من شدّة الضربة، فانهال الرجال بعصيّهم يوسعونه ضربًا حتى فقد وعيه، شعر الرجلان بأن هادي غاب للحظات عنهما، فقرصه أحدهما، ففزّ خائفًا هلعًا.

وحين تُعيد عليه ذاكرته تفاصيل الحادثة ينتشي.. يتحفّز وكأنه يريد أن يطير إلى خلف الجبال ويُعيدُ سيرته الأولى، لكن فحيح صدور الرجال وهم يركضون خلفه يُطفئ أوار شبقه بل يهدمه.

بعد أربعة أيام عاد من السفر، كان سفرًا مرهقًا، كان لا يُسمح بدخول الميناء إلا لعدد محدود ممن يحملون تعريفًا صادرًا من مكتب نقليات معتمد، كان عدد العاملين محدودًا، فزاد ضغط العمل عليهم أضعافًا مضاعفة، وفي النهاية أنجزوا مهمتهم التي ذهبوا لشأنها وقبضوا أجرتهم، كانت كما قال صابر أجرة كبيرة ومُجزية.

***

(4)

ليل طويل ودرب مظلم، يسير نحو المنطقة الصناعية التي اختارها ملاذًا يتقي بها مطارديه، لا يغفل عن التلفّت في كل حين، هجس بأن أحدًا يسير خلفه يتتبّعه، رجف قلبه بقوة، شعر وكأن يدًا فولاذية تُمسك بعنقه، وقف، استدار إلى الخلف يبحث عن شبح المُطارِد، لم يرَ أحدًا، ليل بهيم لا يكاد يرى فيه شيئًا، أكمل بضع خطوات، سمع صوت خشخشة، طمأن نفسه بأن هذه أصوات قطط الليل تعبث بمحتويات القمامة، لكن الخوف لم ينفكّ، والرغبة في الهرب هي الملاذ من هذه الظنون، أمسك بطرف ثوبه وركض مسرعًا بقوّة خوفه، وصل مكان غرفته، تلفّت خلفه ليستبين أي شبح في الظلام، ولما لم يشعر بأي أحد دخل فورًا إلى غرفته، رمى بجسده على سريره وتدثّر بغطاء خفيف، ودخل في نوم مباشر، نام عشر ساعات متواصلة، لم يفق إلا و«بابا محبوب» - مالك الورشة - فوق رأسه يوقظه برفق أب قائلًا له: انهض من سباتك، فتح عينيه، دعكهما بقوّة ليزيل أثر النوم وقد أمضّه التعب والألم والجوع، كان بابا محبوب مشفقًا عليه بصورة لا سابق لها منذ أن عرفه، قال له بابا محبوب بصوت مسكين:

- لماذا تُرهق نفسك هكذا؟
- العمل قاسٍ جدًّا، ننقل صناديق خشبية ثقيلة على ظهورنا!

- هذا عمل شاق عليك، مضت خمس سنوات وأنت بهذا العمل ألا تفكر بعمل آخر أقلّ إنهاكًا؟
- بحثتُ عن عمل فلم أجد، لم أجد أمامي غير هذا العمل، لكن المقابل كثير وبهذا أُعوّض تعبي!
- العمر قصير يا بُنيّ، حكّ بابا محبوب ذقنه الحرشاء بإصبعيْ السبابة والإبهام وكان يُفكّر بعمق، ثم قال له، ما رأيك أن تعمل هنا؟
- هنا! أين؟
- في هذه الورشة.

قال مبتسمًا: لكنني لستُ حدادًا!

- لن تعمل في الحدادة، ستكون مشرفًا على العمال في غيابي، تعرف أني رجلٌ مُتقدّم في السن، وأُعاني من مرض السكر وأُمضي جُلّ يومي في البيت!

صفن هادي قليلًا مع نفسه، تبصّر في حاله كيف تبدّلت، كان مذياعه الأثير إلى نفسه يكسوه الغبار، فقد أشغلته ويلات العمل المُضني عن التمتع بمساءاته القديمة، مدّ بابا محبوب يده إليه، وأنهضه من سريره، مضى به نحو باب الورشة الخلفي، وقف بجانب شجرة الريحان والتفت إليه قائلًا: اغسل وجهك وتناول إفطارك، وأنا أنتظرك في الورشة.

عادت الحياة ثانية إلى هادي، عمل في الإشراف على عمل الورشة وعلى الأعمال التي تنفذها الورشة خارجها، ومع أذان المغرب تُقفل الورشة بابها، فيمنحه المساء مساحة زمنية طويلة يمارس فيها متعته، يقلّب محطات المذياع بحثًا عن صوت شجي يشطر آلامه وينتشله من ضجيج ماكينات اللحام التي يستمرُّ دويها في أذنيه طويلًا بعد انتهاء العمل، ويستعيد نظراته النقيّة بسبب تأثّر نظره المتواصل لأشعة اللحام، يُخرج كرسيه خارج غرفته، يقطع غصنًا من شجرة الريحان ويضعه في قارورة ماء، وحين يصطاد مذياعه صوت موسيقى أو أغنية يضعه برفق فوق الطاولة التي أخرجها من غرفته، ثم يُعدُّ وجبة العشاء المكونة من قطعة من الجبن الأصفر وبضع حبات زيتون أسود يفتح علبتها ويسكبها في صحن صغير، ثم يفتح علبة التونة، يضع كل ذلك أمامه ويُخرج رغيف الخبز من كيس النايلون، ثم يُعد الشاي الأسود الثقيل، وبعد الانتهاء من تناوله العشاء يجلس على كرسيه يرتشف الشاي ويمجّ سجائره بلذّة.

بعد عدة شهور وبينما كان ينعم في أحد المساءات الصيفية بسماع صوت شادية ينبعث من إذاعة صوت العرب ويدخن سيجارته، طُرق الباب الخارجي للورشة، نهض بسرعة وارتباك وخوف، فتح الباب برفق وتلصّص ليجد «بابا محبوب» متكئًا على جانب الباب، قال له بابا محبوب يجب أن تنتقل من هنا هذه الليلة!

- لماذا؟

- هذه الغرفة الحقيرة لا تليق بك، وجدتُ لك شقة صغيرة تناسبك على سطح العمارة التي أسكنها، وهي جاهزة وقد أثثتها بجميع ما تحتاجه.

دُهش هادي، فقد رأى أن ذلك أكثر مما يستحق، واستكثر على نفسه كل هذه العناية والحدب من بابا محبوب، لكنّه أرخى عينيه موافقة وامتنانًا وذهب مع بابا محبوب بعد أن جمع أشياءه في صندوق صغير حمله على رأسه إلى أن وضعه في حوض سيارة بابا محبوب.

عاش في هذه الشقة في السطح ثلاثة أعوام، كانت علاقاته بسكان البناية مقتصرة على بابا محبوب وعائلته، وكانت تربطه بصبري حمّاد - وهو الساكن في الشقة المقابلة لشقة بابا محبوب - علاقة من نوع معين، فقد كان يُلحُّ دومًا على دعوته لبيته لتناول طعام الغداء أو العشاء، وكان دومًا يتعلّل بانشغاله، أما فاروق السويفي، وهو الذي يسكن في الشقة التي في الدور الأرضي، فكانت علاقته به لا تتجاوز التحيات الصباحية والمسائية إذ يرى أنه منقطع وغير راغب في إقامة أي علاقة مع آخرين.

كل صباح يسير هادي مشيًا إلى ورشة الحدادة التي لا تبعد كثيرًا عن سكنه، أسرة محبوب تشبهه، فمنذ سكن في هذه الشقة في العمارة لم يرَ أحدًا يزورهم، ولا يخرجون من شقتهم إلا نادرًا.

صبري حمّاد يعمل مراقب عمال في إحدى الشركات، حين أصرّ ذات مساء على دعوته إلى العشاء قَبِلَ مشترطًا أن تكون زيارته لتناول

القهوة فقط، صـبري حمّاد فلسـطيني من الخليل، أب لتسـع بنات، تحدثا طويلًا قبل أن تدخل عليهم ابنته وهي تحمل القهوة، صـدّت نفسـه منذ أن رآها، لا يعرف لماذا لم تقبلها نفسـه، كانت تحاول أن تكون ودودة، لكن جدارًا شاهقًا نبت بينه وبينها، طأطأ رأسه وانحنى إلى الأسـفل، شـعر بضـيق وغثيان، تمنى لو أن قوّة تقذف به في هذه اللحظة في الصحراء التي كانت تطارده وما زالت، أشفق على صبري حمّاد وهو يتحدّث عن السياسة والاقتصاد ويوافق آراءه على عوارها وجهلها بهذين الشأنين، كان متفانيًا في التودد إليه، كان يظن أن لباسه وجنسـيته يمكن أن تبلغ به عاليًا وتخفف همّه، حدّث نفسـه يا عمي صبري ابنتك التي تحاول اصطيادي لها ستزيدها حياتي بؤسًا.

***

(5)

في ظهيرة أحد الأيام كان عائدًا من عمل في شــرق المدينة، كان يُشــرف على العمال الذين ينجزون عملًا منذ عدة أســابيع لإقامة مســتودعات كبيرة لشــركة تجارية، دخل الورشــة ورأى بابا محبوب يجلس على كرســيه مادًّا رجليه إلى الأمام ومســدلًا ذراعيه على جانبيه، كان وجهه مائلًا ينضح بالعرق الغزير وفي حالة إغماء!

نقله على الفور بمســاعدة العمّال، إلى ســيارة الورشــة، ركب في حوض السيارة بينما قاد السائق السيارة وبجانبه بابا محبوب وهو في حالة إغماء!

في المســاء ذهب لإحضــار زوجته وابنته لزيارته، كانت ابنته نازان تبكي بحرقة وألم وخوف، وكانت أمها صامدة تحضنها وتربّت على ظهرها.

كان تشخيص الأطباء أن الغيبوبة سببها انخفاض مستوى السكر في الدم، وكان بابا محبوب قد أخذ حقنة الأنســولين في فخذه في الصــباح ولم يتناول الإفطار، لم يلبث بابا محبوب في غرفة العناية المركزة إلا ثلاثة أيام فارق بعدها الحياة.

تولى هادي تجهيز جنازته في المستشفى، ونقله إلى الجامع الكبير في وســط المدينة وصُــلّي عليه، ثم نقله إلى المقبرة ودُفن هناك، كان

عمّال الورشة الثلاثة وجميعهم من الجنسية الباكستانية يساعدونه في كل تلك الخطوات.

***

(6)

ستة أشهر كان خلالها يأتي إلى أم نازان بدخل الورشة في كل نهاية شهر، الدخل محدود ضئيل لكنه يقيهم شبح العودة إلى الهند فهناك سيلقون بؤسًا أشدّ.

في إحدى الأمسيات وكان عائدًا مُرهقًا من عمل الورشة فإذا بباب شقة بابا محبوب يُفتح ببطء ومواربة، ويظهر منه رأس أم نازان ملفوفًا بخمار أخضر اللون على أطرافه خطوط خياطة حمراء، كانت قابضة على خمارها أسفل حلقها قالت له مضى شهران ولم تأتني بدخل الورشة، أم نازان وهي تسير نحو شيخوختها بدت له ذاك المساء بعينين فاترتين أو هكذا رآهما، لا يعلم كيف جرت الأمور، قالت له نفسه إن أم نازان لا يهمها المال، وقد اتخذت منه تعلّة كي تخلو به! قالت له نفسه أم نازان لها رغبات أخرى أراها تلمع في عينيها، كانت تنتظر إجابته، أشار بعينيه إلى أعلى قائلًا نسيت دخل الورشة في غرفتي. في الهزيع الأخير من الليل طرقت أم نازان باب غرفته طرقًا ناعمًا ففتح لها الباب والقلب!

ترددت الأخبار عن وصول موظفين حكوميين معهم عمال ومسّاحون وأدوات قياس، كانوا يقيسون الشوارع ويخطون بألوان حمراء على الأسفلت، قيل إنهم يقيسون مساحات الشوارع والورش وذلك لأجل تثمين الممتلكات، فقد صدرت أوامر حكومية بتحويل

هذا الحي الصـناعي إلى حي سـكني، وقيل إنهم أمهلوا الورش مدة سـتة أشـهر لإخلاء المكان! ورشـة بابا محبوب مسـتأجرة، والمالك طلب من عمال الورشة إخلاء الورشة خلال الأشهر القليلة القادمة، لم يكن وقع الخبر مؤلمًا لهادي فقط، بل امتدّ ألمه ليصـل كطعنة خنجر إلى أم نازان التي رأت في ذلك مصـيبة كبيرة، إذ إنها لا تملك بعد هذه الورشـة أي مصـدر دخل آخر، فكيف سـتواجه صـعوبات الحياة؟

أشـارت إليه بالدخول، استجاب لها ودخل، كانت تعرف مواعيد عودته في كل مساء، وجدها قد أعدّت الشـاي وبجانبه بعض صـحون الحلوى، شكرها، وسألها عن طلباتها، قالت: نازان.

- ما بها؟
- لا شـيء، لكننا هنا غرباء لا نعرف أحدًا ولا يعرفنا أحد، وسـنفقد مصـدرعيشـنا كما قلت لي بالأمس، بابا محبوب أحسن إليك كثيرًا، ونحن الآن بحاجة إليك!

كانت الشـمس الغاربة ترسـل آخر إشـعاعاتها من خلال النافذة المشرعة فيبدو وجه العجوز وقد اكتسى باللون الأصفر.

صـمتتْ ثم تلفّتت وكأنها كانت تتوقع أن نازان تتنصّـت عليها، ثم دنت منه وقالت بصوت منخفض يرجو:

البنت في سنّ الزواج!

أحنت رأسها أكثر وقالت:

أنا أخطبك لها.

تفاجأ من طلبها، نفر منه بداية، إذ كيف يتزوّج بفتاة هندية، ولم يسبق لأحد من عائلته أو ممن كان يعرفهم أن أتى بمثل هذا الأمر، أصرّ في داخل نفسه على الرفض القاطع، واشمأزت نفسه من أم نازان ، شعر نحوها بعدائية وكره وندم على كل ما قدمه لها منذ وفاة بابا محبوب، لم يشأ أن يُخيّب ظنها، حدّث نفسه أن يخرج الآن من هذا المأزق، وبعد حين يبلغها بعدم رغبته في الزواج، كان وجه العجوز المضاء بالأصيل مشدودًا إلى الأعلى وكأنه علامة استفهام كبيرة، هزّ رأسه وقال لها:

- لا بأس، دعيني أجلس مع نفسي وأرتب أفكاري لأن هذه كانت مفاجأة لي.

ابتسمت العجوز فبانت ثلاثة من أسنانها الذهبية، شعر بخوف منها وكأن أمامه ساحرة من ساحرات بلاد الهند، تعجّب كيف كانت تحلو له حين تتلوى في حضنه في غسق الليالي الفائتات، خرج دون أن يأكل أو يشرب شيئًا مما أعدّتْ، مشت خلفه إلى أن بلغا باب الشقة، خرج وكأنه نجا من هلاك محقق!

***

(7)

ثلاثة أيام عاشــها هادي مضــطرب المشــاعر، قلقًا، حينًا يجد أن طلب العجوز أم نازان ضــربٌ من الحُمق والســفه، فكيف لرجل تضرب قبيلته جذورها في عمق التاريخ، ويتفاخر أهلها بانتسابهم إلى هذا القبيلة العظيمة، بل ويُشفقون على من لا ينتسب لقبيلتهم، كيف له أن يتزوج بفتاة هندية لا يُعرف لها جذر أو نسب؟!

وبعد أن تهدأ نفســه من غليانها، يعود إلى التفكير في أســرته، وهل وقف أحد بجانبه حين كان يجوب الشــوارع والأزقة بحثًا عن عمل، وحين كان هاربًا مُطاردًا لم يقف أحدٌ من قبيلته بجانبه ولم يُؤوِهِ أحدٌ منهم، ولم يهتموا لأمره حين علموا بعمله في مكتب صــابر لنقل البضائع، وما كان يعانيه من جهد في نقل الصناديق من المستودعات إلى ســيارات النقل وبالعكس، فيعود مهدود القوى خائرًا. لم يقف بجانبه أو يفطن لمعاناته غير بابا محبوب الذي شــمله بعنايته، ومنحه عملًا محترمًا وأقلّ شقاءً من عمله السابق، كما ساعده في إيجاد سكن يليق بإنسانيته في شقة على سطح العمارة التي يسكنها.

«وهل ســأجد من تقبل بي زوجًا وأنا لا أملك مالًا ولا عملًا ومطاردٌ في كل لحظة؟ فماذا عســاني أعمل بعد أن تقفل الورشــة بابها بعد عدّة شهور، ثم إني على مشارف الثلاثين من العمر، ونازان شابة لم تبلغ العشرين بعد!

هل أتقدّم لها؟ هل تكون نازان واحة في صحراء أيامي؟

انهمك عمّال الورشة منذ أذان الظهر في ترتيب المقاعد، أخرج صبري حمّاد وفاروق السويفي من شقتيهما كل الكراسي والمساند لينقلها عمال الورشة إلى سطح البناية.

في المساء تجمّعت الأُسر الثلاث وهم يلبسون لباس الأفراح، كانوا في حالة بهجة وفرح، وكانت الموسيقى تصدح عاليًا، استأذن صبري حمّاد للذهاب لجلب العشاء الذي أوصى عليه هادي صباح هذا اليوم، لكن صبري حمّاد عاد سريعًا، كان يبدو عليه قلق وخوف، اقترب من هادي وقال: هناك رجل يجلس في سيارته السوداء يراقب البناية منذ عصر اليوم، خرجت للتو لإحضار العشاء فوجدته ما زال كامنًا في سيارته، قبض هادي بيده على يدي صبري حمّاد كالمستغيث، تسلّل خفية خلف صبري حمّاد، وقبل أن يخرجا من باب البناية تلفّتا يمينًا ويسارًا، كانت السيارة السوداء قد اختفت تمامًا، لا أثر لها في الشارع، سار هادي بجانب صبري حمّاد على رصيف الشارع خلف السيارات المتوقفة، بحثا في كل اتجاهات الشارع فلم يعثرا على أثرٍ لها، قال صبري حمّاد يبدو أنه غادر، بينما حدّث هادي نفسه ويبدو أنه لم يكن موجودًا أصلًا!

تم الزواج، لم يُدع إليه إلا عمّال الورشة الثلاثة، وبعضٌ من جيرانهم في الشقق المجاورة، صعدت معه نازان في نهاية الحفلة الصغيرة إلى شقته في السطح، وكان قد أتى بغرفة نوم مستعملة جلبها

من الحراج، وبعض أثاث مستعمل، حين أسفرت له نازان عن وجهها وجدها نسـخة مصـغّرة من بابا محبوب، كانت عيناها بلون قطرتيْ عسل، تحاكي سريرتها صفاء الينابيع، استقامة الأنف واسمرار الوجه والطول الفارع، كانت أقلّ أنوثة وغنجًا مما كان ينتظر لكنها تحملُ جمالًا أليفًا، إذ كانت نظراتها حادة خائفة وإن كانت تملك جاذبية لا تخفى، وحين جلست أمامه وانحسر فستانها عن ساقيها لحظ هادي أن الشعر يكسو ساقيها وكأنهما ساقا رجل، تقزز من منظر ساقيها اللتين افترشهما شعر كثيف، سرت في جسمه قشعريرة، خشي أن تفْسَدَ ليلته التي تعالى فيها صهيل شبقه مع كل خطوة تخطوها نازان نحوه، فتعاركت في نفسه مشاعر ارتياح وتقزز، لا يعلم كيف يُمسك بنفسه ويرسو على حال من الاطمئنان، قال لنفسه لا بأس فلتمضِ هذه الليلة بأيّ صورة، وفي الغد يمكنني مناقشتها في هذا الأمر، وحين نضت ثيابها، وأسفرت عن جسد طاغي الأنوثة تفجّرت في عروقه دماء الشبق، فنسي كل ما كان يلوّث نفسه، وهام في مسارب اللذة الطاغية!

غطّت نازان في نوم عميق هادئ، حين أفاقت تأمّلت وجه هادي للمرة الأولى وسط الضياء، فتحت النافذة كي يلج الهواء علّه يطرد رائحة صنان تنطلق من إبطي هادي وتعلق في هواء الغرفة، أخذت تُخرج رأسها من النافذة هاربة من حومة الصنان الطاغية.

***

(8)

بِدار تنتظر عودة والدها كل يوم قُبيل غروب الشمس، تفتح النافذة المطلة على الشـارع التي تدلق الضـجيج إلى كل حجرات البيت الصـغير، وتُمسـك بقضـبان الحديد متلفّتة يمينًا ويسـارًا، محاوِلةً الإنصات لصوت محرك سيارة «مشتاق» - الحداد الباكستاني - الذي يقود السيارة وبجانبه يجلس هادي، سيارة نقل صغيرة تحمل ماكينة لحام كبيرة هي كلّ ما تبقى لهادي من ورشـة بابا محبوب، بعد أن ماتت أم نازان بعد زواجه من ابنتها بعدّة أعوام، وطلب صـاحب المبنى إخلاء الورشة. سكن هادي في بيت شعبي في شارع ضيّق لا تكاد تمر عبره إلا سـيارة واحدة، بيت رثّ تختلط فيه الجراثيم بالأحماض ورائحة البالوعات والنفايات الصاعدة من براميل القمامة المهترئة المتراصّة بالقرب من البيت. مضت خمسة عشر عامًا وهو يعلّل نفسه بالانتقال يومًا من هذا الحيّ التعس إلى حيّ آخر أفضل!

وجد هادي أنه لا يملك من المال ما يُمكّنه من اسـتئجار ورشـة حدادة، فاشـترك مع حداد من الجنسـية الباكسـتانية، بحيث يجوبون الأحياء خاصة التي تحوي مستودعات ومنشآت تحت التنفيذ، هناك يجدون من يريد دعم أو رتق أعمدة مستودع أكلها الصدأ أو عبثت بها الأرضـة أو أكل التراب أسـاسـاتها، وهكذا وجد هادي أن هذا العمل المتواضع ربما يوفّر له ما تحتاجه عائلته.

بدر شـقيق بِدار، رفيق المتعة، الباحث عنها، الوالغ في أحضـانها،

تشغله دومًا، يتتبّع مساراتها ويقتفي آثارها ويجهد في سبيل اقتناصها، شقيَ وأشقى، جلب لعائلته الظنون وسوء الدروب، حاول هادي رتق اندفاع رغباته ولجم شبقه المتفاقم لكن هياج بدر حين يستبد به الهوى وتطغى الرغبة لا يمكن صدّه أو الوقوف في طريقه.

سئم الذهاب إلى المدرسة منذ الأسبوع الأول، واكتفى بالشهادة الابتدائية، لم يعرف هادي بالأمر إلا بعد سنوات، كان يذهب مع رفاقه في جولات صباحية لسرقة أو اشتراك في خصومة تنتهي دومًا بهالات سوداء على وجهه، فيبرع في إقناع والده ووالدته ببراءته من أي مأزق يلج فيه.

قبل خروج الطلاب من مدارسهم يقبع بدر متلصصًا في ناصية الشارع المقابل لباب المدرسة، يمجّ السجائر واحدة تلو أخرى، مرتديًا ثوبًا منزليًّا أسود، بدر يكون عادة القائد الذي يقتنص بنظره من بعيد فريسته، فيرصد حركة الطلاب المندفعين من بوابة المدرسة، فإن لمح والدَ الفريسة المرصودة يقترب منه ويمسك بيده، زفر بقوّة، وأعاد رصد الطلاب، وهو يستظل بشجرة قرب بوابة المدرسة، فهناك من ينتظر أهله أو سائقه، وآخر أنقذته دمامته، وبضع طلاب يسيرون عبر الأحياء القريبة إلى بيوتهم. كان يضع خطة أولى وخطة بديلة وثالثة هي الأقسى إن لم تنفع مع الفريسة الإغراءت التي يبذلها رفيقه للفريسة المُنتظرة، وهي الخطف، بدر كان الموجّه الأول لكل عملية يُخطط لها، ضحاياه كانوا يخافون من بطشه وترصّده لهم إن

ذاعوا سـرّه، وقليل منهم من يخبر والده بما جرى، والآباء عادة يتكتّمون مخافة شيوع مصيبتهم وجلب إشفاق الآخرين أو شماتتهم، أما من يهتزّ قلبه، وتلتهب ضلوعه فسيكون له مع بدر ساحة حرب وعناء!

مُطارد في كل حين، لا يستقرّ به مقام، أما رفاقه فليسوا سواءً، منهم من امتدّت صـحبته له أعوامًا، ومنهم من هرب من بطشـه وأنانيته وجوعه الذي لا حدّ له، فهو دائمًا متوهجٌ بالرغبة، يطأ الرغبات ولا ينفكّ منها بتوبة طارئة أو ندم أو خزي.

وفي المساء يعود إلى البيت ـ يرنّحه الشراب والسهر ـ عبر طرق ضيّقة تفضي به إلى البيت دون أن يستطيع أحد رصد حركاته، بدار كانت تتعاطف معه رغم علمها بما يقترفه من موبقات خلال يومه، وتسهّل له الولوج إلى غرفته تحت عينيها دون أن يشعر به والداه.

كان مرتبكًا متلفّتًا حين دخل هذه المرة، سأل بدار بصوت مُنهك: هل سـأل عنّي أحد اليوم؟ هزّت رأسـها نافية، كانت رائحته نتنة وقد تجمّعت في فمه أبخرة السـجائر الرخيصـة ورائحة (العرق)، وكان لباسه قد تيبّس من تراكم العرق والغبار عليه.

بدار شـابة فائقة الجمال، جسـد ممتلئ سـمين كجسـد والدها، وأنف مسـتقيم كأنف أمها، تصـغر بدر بعامين ، تظن أن العالم يقف عند عتبة باب بيتهم الشعبي الصغير في شارع ضيق في وسط المدينة، تنتظر قدوم والدها وهو يحمل الخبز والجبن والحلاوة والزيتون، تتضـور جوعًا، فتقول لها أمها لتُلهيها عن جوعها: إن مكثت لدى

النافذة تنتظرين والدك فسيأتي سريعًا، تذهب بدار إلى النافذة تترقب وصول والدها، تشاهد عبر النافذة جموعًا من الشباب اليافعين يحملون العصي والعجرات، وبعضهم تملأ كفيه أحجار بحجم الكف، يحيطون بالبيت، تسمع طقطقة ماكينة اللحام في حوض سيارة والدها وهو يقترب من البيت عابرًا شارعهم الترابي الصغير المليء بالحفر ومسارب المياه الآسنة القذرة التي تجري في وسطه، تذهب إلى أمها في المطبخ تخبرها بما شاهدتْ، يرفُّ قلب أمها، تسألها عن أخيها بدر، تجيب بدار أنه دخل إلى غرفته قبل قليل، هبط هادي من سيارة مشتاق وطلب منه عدم المغادرة حتى يرى لمَ هذا التجمع!

شابٌ مفتول العضلات، في الخامسة عشر من العمر تقريبًا، يشمّر ثيابه عن ساعدين شرسين، أزرار صدره مفتوحة وبيده عصا غليظة، صرخ بهادي وهو يراه متجهًا نحو باب بيته: أحضر الملعون بدر وإلا كسّرنا باب بيتك، عاد هادي إليه وسأله: ماذا تريدون منه؟ نؤدبه، أجاب أحد الشباب وكان طويلًا جسيمًا، ماذا فعل؟ سألهم هادي، أجابه صوت من خلفه قائلًا: اسأله، فقال الشاب الجسيم: عمل عملًا قذرًا بأحد أبناء الحارة، تعالت حمحمات الشباب الغاضبين، فهم هادي ما يقصده الشباب، بان عليه العياء، وتهدّم في لحظة ، اتجه صوب بيته بمشية متخاذلة، لا يكاد يسند رخاوة جسده، وقبل أن يصل إلى باب بيته قذف أحد الغلمان بحجر نحو باب بيته تتابعت قذائف الأحجار من كل مكان، عاد هادي إلى الشباب بعينين تقدحان

شـررًا، رفع الغلام القريب منه قبضـتين مشـنجتيْ الأصـابع في وجه هادي وحامى بذراعيه، تركه هادي وعاد يعالج قفل الباب، دخل وأغلق الباب خلفه، بعد دقائق عاد من نافذة البيت ينادي على مشتاق الذي اقترب منه، قال لمشـتاق راجيًا، حاول أن تفرّقهم ولو بالقوة، ذهب مشتاق إلى الشاب الذي يقف في المقدمة متحفّزًا وبيده العصا الغليظة وطلب منه المغادرة لأن سـيارة الشـرطة قادمة بعد دقائق، صـدّق الشـباب قول مشـتاق، وبدؤوا يقذفون ما بأيديهم من عصـي وأحجار على باب البيت حتى تهشّـم تمامًا، كانوا يتوعدون بدر بأنهم له بالمرصاد. تهشّم زجاج النافذة وتكوّمت الأحجار عند عتبة الباب، وذاعت حكاية بدر في كل بيوت الحي والأحياء المجاورة.

لاذ هادي بغرفته، نَهَرَ نازان حين أرادت أن تحادثه، أغلق الباب على نفسـه، كان صـدره منقبضًـا، بكى، ثم بكى، وكان نادرًا ما يفعل ذلك، رغم ما واجهه من عناء ووحدة طوال حياته إلا أن الدمع لم يشـاركه يومًا حزنه وعناءه، بكى هادي وانتحب، صـادفته في حياته خيبات كثيرة، اسـتطاع أن يتحمّل آثارها، أو ينتصـر عليها، خيبته في بدر هدّت نفسه، ضعضعت كيانه، لم تبق طريق نحو بدر لم يسلكها إليه، تتناهبه الأسـئلة.. متى يكفّ بدر عن هذا الولوغ، متى تنكفئ نفسـه وتؤوب، اعتنى به منذ صـغره، أبت طباع بدر الانصـياع أو الانحياز له، بدر كان نسـيجًا وحده، يختلف عن والده، وعن أمه، وعن بدار، لم يُكمل تعليمه، ولم يهتم يومًا بغسـل جسـده أو تغيير

ملابســه أو ارتياد المســاجد، كان ينفر من كل ذلك، متعته كانت الصعلكة والتسكع في الشوارع الخلفية البعيدة عن الأعين، يرتاد مع مجموعة من أصــحابه الخرائب، بعد أن يكســروا قفل محل تجاري ويســلبوه، أو أن أحدهم يرغم صــبيًا على السـير معه، وحين يحاذي خرابة مهجورة معروفة لهم، يجذب الصـغير عنوة إلى الداخل، هناك يتعاقب عليه الأشـقياء بما فيهم بدر، بعض الآباء يخشـى على سـمعة بناته وأبنائه الباقين فيلتزم الصمت ولا يخبر أحدًا بما جرى.

تعاظمت شهوات بدر منذ بلوغه، وامتدت، وانحرفت عن الطريق لتلغ في أعراض الصبيان و صغار الأطفال، تفاقم عبثه وتهوره، وداس مهابة والده، بل داس مهابة كل الناس!

يقود هادي خلفه عذابات عمر مضى، كان شـابًا يافعًا شـريدًا تائهًا يقتنص اللذات رغم وعورة الوصـول إليها، إذ كانت العيون مشـدودة نحو أيّ انحرافة عن الطريق الجلي أمام أنظارهم، تتفلّت رغباته رغم محاولاته لجمها، وحين ذاع شــيء من انفلاتاته تفاقمت شــكوكهم حوله، فحرسته فضيلتهم وتغافلهم.

دفعته رغباته اللاهبة ولهاثه الدائم حول فريسـته وبحثه عن سـبيل يفرّ به من تحت أبصـارهم ليقنص فريسـته بعيدًا عن مرمى أبصـارهم ويعبث بها ثم يتوارى وفوق نيوبه دم الفريسة المُنتهكة.

بكاء الطفل وهو ينبعث من مكان قصي، كان يمسك بثوبه المبلل، ويعرضه على كل من قابله في طريقه شاكيًا باكيًا، تجمّع سكّان القرية

الصـغيرة حول الطفل، وحين افتقدوه أدركوا أنه زاغ عن أبصـارهم، طافوا حول موطن لذّته، لمحوا طيفه وقد أحنى ظهره، فطفقوا خلفه وبكاء الطفل يصدح في آذانهم ويشده قلوبهم.

خواطر عبرت ذهنه عبورًا سريعًا ومؤلمًا، فجأة وهو ويجترُّ أفكاره تناهى إلى سـمعه صـوت بدار وهي تُغني أُغنية الدنيا ربيع.. والجو بديع... أنصت قلبه لصوتها الناعم الذي ورثت منه هذه البحة اللطيفة التي تنتشله عادة من عذاباته التي لا نهاية لها، شعر برغبته في الصراخ، في الغناء، في الجنون، شـعر بحب قويّ لبدر، ورغبة في صـفعه وركله وضربه، لكن الضرب لم يعد نافعًا، لم يعد مجديًا، جسد بدر النابض بالشهوة والشوق والشبق اجتاز مراحل التأديب الجسدي.

حزنٌ غزير يسـحّ على وجهه حين تكرّ به الذكرى، يزعق صـوت من داخله، فيلجّ في سـؤال نفسـه، ويغالب نفسـه غلابًا شـديدًا موبّخًا إياها، كان مهترئًا من الداخل، يجلس في زاوية الغرفة بضآلة عصفور مهيض الجناح، يُمزّقه نحيب داخلي، دفن حزنه في صـدره، لم يجد بُدًّا من التفكير بعقد صـداقة مع بدر، بمدحه، بمصـاحبته له في ذهابه إلى عمله، الآن يجب أن ينتهي من هذه المشـكلة الواقعة، يجب أن يذهب بدر إلى مكان آخر غير البيت لمدة طويلة تُنسـي الشـباب الهائج وعودهم بالانتقام، ولكن أين يذهب؟ لا قريب ولا صديق!

إذن فليسجن نفسه في غرفته.

***

(9)

الفقر يطوّق هادي منذ أن كان شابًّا، وها هو الآن على عتبة الأربعين من عمره ولم يملك بيتًا، وحين يقترب موعد حلول إيجار البيت الشعبي يعمد هادي إلى الاستدانة من مشتاق أحيانًا ومن غيره كي يفي لصاحب البيت بحقه قبل أن يطرده وأسرته إلى الشارع.

يتذكّر هادي آلامه، أو أنه يجترّها كي يواجه آلامًا أخرى بقوّة تسانده، قبل ولادة بدر كان مشدود الأعصاب خافق القلب. لحظة كانت ولادة بدر متعسرة، كان خائفًا يترقّب، خشي أن تأتي له نازان بطفلة، تذكّر بابا محبوب وكيف غاب وترك المرأتين، تذكّر كيف كان يختلس بعض دخل الورشة، حين يغافل المرأتين زوجة بابا محبوب وابنتها نازان، خشي أن تأتي نازان الآن بطفلة، شدّ ما كان يخشى أن يموت لأي سبب، فمن يعولها بعده، أمها من الهند، وستكون البنت بلا أقارب أو معارف، ينظر إلى باب غرفة العمليات، فُتح الباب وخرجت الممرضة تحمل ابنته بدار ملفوفة بقماش أبيض، لقد كشفت الممرضة أمامه عورتها كي لا يشك بتبديلها، في تلك اللحظة أومأ برأسه وخرج دون أن يزور نازان، لم يأتِ إلا في اليوم التالي لإخراجها من المستشفى والذهاب بها إلى البيت.

***

(10)

على عتبة الباب يقف هادي منتظرًا قدوم مشـــتاق، في الطريق قال له:

- هل تستطيع أن تعمل معي يوم الجمعة؟
- ومتى نرتاح من العمل يا هادي؟
- لا تهم الراحة يا مشـــتاق، تكاليف الحياة تتزايد من كل جانب، ولن يسدها إلا المزيد من الجهد!

في ضـحى ذلك اليوم وحين كانا يمران عبر شـوارع الحي المكتظ بالمستودعات، رأى هادي ثلاثة رجال يقفون أمام أحد المستودعات الكبيرة يعـالجون مع عـاملين بـاب المســتودع، قـال لمشــتـاق قف عندهم، ربما يكونون بحاجة إلى مساعدة.

وقفت سـيارة مشـتاق غير بعيدة عنهم، ترجّل منها هادي، صـافح الرجال الثلاثة وسـألهم إن كانوا بحاجة إلى مسـاعدة، أشـار كبيرهم إلى عقدة حديد تقف عائقًا أمام انزلاق باب المســتودع فتمنع إغلاقه بإحكام، رمشــت عينا هادي بسـرعة وهو يتأمّل وجه الرجل، لم يكن الرجل غريبًا عليه وإن امتنعت ذاكرته عن جلب أي حادثة معه، نادى الحداد مشتاق ليُصلح باب المستودع، ثم اقترب من الرجل وقال له:

- هل سبق لك أن رأيتني؟

تأمّله الرجل وكأنها يراه للوهلة الأولى، وبعد لحظات نفى بحركة من رأسه أنه كان يعرفه أو أنه سبق أن التقى به!

عاد هادي إلى السيارة ومكث فيها منتظرًا انتهاء مشتاق من عمله، وفي المساء عاد هادي إلى بيته وصورة الرجل الثالث ما تزال تسكن خياله.

مضى أسبوع وهادي يتردد على عمله كالمعتاد، يركب بجانب الحداد مشتاق ويذهبان ليُكملا عملًا سابقًا أو يبحثا عن عمل جديد، تطوف في ذهن ساري صورة الرجل صاحب المستودع، تصل به ذاكرته حدها حين توصله إلى طرف تذكّره، ثم فجأة تسلب ما سكبته في ذهنه وتبتعد به بعيدًا عن محاولة اصطياد ذاكرته، في المساء وقبل أن يهمّا بسلوك طريق العودة إلى البيت، طلب هادي من مشتاق أن يمر بجانب المستودعات التي أصلح باب أحدها الأسبوع الفائت، وحين اقتربت السيارة من المستودع وكان مغلقًا، نزل هادي بجانب بابه، وأخذ يسير بخطوات بطيئة أمام المستودع عاقدًا ذراعيه خلفه، كان وجهه مركزًا إلى الأرض، ومشتاق كان في سيارته يغير شريط الأغنية القديم ويُدخل بدلًا منه شريطًا جديدًا في مسجل السيارة ليتسمّع إلى أغنية باكستانية تُشجي غيابه عن أطفاله وتزيد في تولّعه ببلاده، يعصر هادي ذهنه، يحاول إعادة كلّ من مرّ عليه في حياته، لكنّه لا يفلح في اصطياد ذكرى هذا الرجل الغامضة «صورته تراوغ

ذاكرتي».

أتى عامل قصير القامة من الشارع المقابل، ظن أنهم يريدون شيئًا، سأل هادي عن ماذا يريد، قال له هادي:

- أنت حارس هذا المستودع؟
- نعم.
- من صاحب هذا المستودع؟
- الشركة!
- أيّ شركة؟
- شركة الأجهزة الكهربائية، هنا ثلاجات وغسالات وأفران وغير ذلك.
- هل تعرف من يملك هذه الشركة؟
- لا.

رفع بصره قليلًا محاولًا التذكر ثم أكمل:

- نعم، الشيخ صابر، والشيخ هاجد؟
- هما الذان كانا هنا حين كنا نُصلح هذا الباب؟
- نعم، كانا هنا وكان بصحبتهما المدير التنفيذي الأستاذ عامر.

شكره هادي، وذهب إلى سيارة مشتاق.

في طريق العودة أخذ هادي يردد اسم صابر.. صابر، وكان مشتاق مسافرًا مع أغنيته الأثيرة التي تقضّ مواجعه وتُنمي اشتياقه لأولاده، وصلت سيارتهما إلى بيت هادي الذي ترجّل منها دون أو يودع

مشـتاق، فقد كان مسـلوب البال، كان ما زال يقلّب اسـم صـابر على لسـانه، وحين دخل البيت لمعت في ذهنه فجأة تلك المقابلة قبل نحو عشرين عامًا مع صاحب مكتب ترحيل البضائع، وكان اسمه صابر، أدرك هادي أن ذاكرته أخيرًا أرخت عنان صـمودها واسـتكبارها وأمدّته بصـور عاشـها حين كان مُطاردًا يبحث عن عمل، وحين قابل صابر في دكانه الصغير، وحين نادى صابر سائق سيارة النقل وأوصاه أن يعمل معه، هذا إذن هو صابر!

نام تلك الليلة مبكرًا على غير عادته في انتظار نشـرة الأخبار التي يحرص على متابعتها كاملة، أصر أن يبحث عن صابر غدًا، سيذهب إليه وسيُذكّره بنفسه.

في الصـباح، وقفت السـيارة التي يقودها مشـتاق أمام باب المسـتودع، نزل منها هادي وتوجه إلى غرفة صـغيرة بجانب المستودع، طرق الباب فخرج الحارس الذي رآه بالأمس، سأله عن عنوان شـركة الأجهزة الكهربائية، دلّه الحارس على عنوانها، مضـى هادي ومشـتاق إلى مكان الشـركة، كان هادي متحفّزًا للوصـول إلى هناك، بعد نحو نصف ساعة وقفت سيارتهما أمام مبنى الشركة، نزل هادي وسأل عن مكتب الشيخ صابر، سُمح له بالدخول، فلما رأى من بعيد الشـيخ صـابر يقوم اسـتعدادًا للسـلام عليه هوى يُقبّل يديه ورأسـه، قال له ودمعٌ متحفّز في محاجر عينيه، أنا ياشـيخ صـابر.. هادي، ولمّا رأى أن الشيخ صابر لم يفطن إليه أكمل، ألّا تتذكرني قبل

نحو عشرين عامًا أتيتُ إليك أبحث عن عمل؟ حاول الشيخ صابر تذكره فلما أعيته الذاكرة ولم يشأ أن يخيب رجاء هادي فقد مثّل أنه تذكّره، فرحّب به وأكرمه.

صابر بملامحه الأولى، لم يتغيّر كثيرًا، لكن آثار الثراء بادية عليه، إذ انقشعت تلك الغمّة التي كانت عنوان شقائه في أول شبابه، فبان وجهه الآن عن رضا وسعادة وابتسامة دائمة.

خرج من مبنى الشركة متجهًا نحو سيارة مشتاق، وجده نائمًا، طرق باب السيارة فاستيقظ، وعاد به إلى بيته.

بعد عدة أيام في المساء، وبينما كان يشاهد نشرة أخبار العاشرة، إذا بالباب يُطرق بلطف، أغلق جهاز التلفزيون، فسمع عدة طرقات على الباب الخارجي، ذهب ليفتح الباب فإذا بسيارة نقل متوسطة تقف بصعوبة أمام البيت وقد سدّت الطريق تمامًا، كان رجلًا من الجنسية السودانية يقف خلف سيارة النقل ويفتح الباب الخلفي لها، ولمّا رأى هادي واقفًا على عتبة الباب، اقترب منه قائلًا: أرسلنا الشيخ صابر ومعنا مؤونة لبيتك، فتح هادي الباب كاملًا، وبدأ العمال ينقلون أكياس الأرز والسكر والزيت والأجبان وبعض المعلبات الغذائية الأخرى.

هذا الصباح كان مشرقًا على غير عادته، يشعر أن رقبته قد انحلّت من ربقة الفقر، تلمّس رقبته فعلًا، وهجس بأحلام وآمال عِراض!

وصـل مشـتاق إلى مكان عمل بدأه بالأمس ولم يُكمله حين هبط المسـاء، وأنزل ماكينة اللحام وعدّة العمل، كان هادي في السـيارة لم ينزل بعد، دخل رأس مشـتاق من نافذة السـائق يحثه على النزول كي يباشرا عملهما، صفن هادي قليلًا، ثم نزل من السيارة، تقدّمه مشتاق حاملًا عدّة العمل، وضـع هادي يده على كتف مشـتاق من الخلف، استدار إليه مشتاق فقال له هادي، يا صديقي سأذهب في سيارة أُجرة إلى البيت؟

سأله مشتاق إن كان يشكو من مرض، فرد عليه هادي، لا، لستُ مريضًـا، فقط أُريد أن أقول لك إن عليك إكمال العمل بنفسـك، تعجّب مشـتاق، ثم أكمل هادي: من هذه اللحظة كل شـيء لك يا صديقي، السيارة وماكينة اللحام وعدّة العمل!

ضـحك مشـتاق ظانًا أن هادي يُمازحه، فلما أكمل هادي حديثه بهدوء وثقة، أدرك مشـتاق أن هادي كان جادًّا فيما يقوله، أدخل يده إلى جيبه كي يقاسـمه بعض المال الذي كسـباه خلال اليومين الماضـيين، رفض هادي أخذ أي شـيء وأعاد يد مشـتاق إلى جيبه بهدوء، ثم قبّل رأس مشـتاق، وطلب منه أن يزوره في كل حين، وإن احتاج إلى مساعدة فعليه أن لا يتردد في طلبها منه.

كانت فكرة وُلدت في ذهن هادي منذ أن تذكّر الشـيخ صـابر، هذه الفكرة تنمو ببطء حين تُغذيها آماله وطموحاته، كانت الفكرة مذهلة جدًّا، ورأى أنها بحاجة إلى التفكير والمراجعة، فعزم على ذلك.

نادى ابنته بدار، وأحضرت ورقة وقلم وأملى عليها خطاب شكر للشيخ صابرعلى صنيعه وكرمه، كانت بدار تكتب بخط معوج لكنّه مقروء، دسّ الخطاب في جيبه، وأخذ سيارة أجرة نقلته إلى مكان شركة الأجهزة الكهربائية، هناك أعطى الخطاب لسكرتير الشيخ صابر، وقال له، بلّغه أنني أُريد مقابلته.

عاد إليه السكرتير وقال له الشيخ في اجتماع، هل تريد أن أنقل إليه طلبك؟

رد عليه: نعم، أُريد عملًا في هذه الشركة!

أجابه السكرتيرأنه سيبلغ الشيخ صابر بطلبه، وأنه يمكن أن يأتي غدًا ليعلم برد الشيخ.

خرج هادي والآمال تتقافز بين قلبه وعينه.

حين عاد هادي إلى بيته كان يحمل في يده علبة حلويات فاخرة اشتراها للتو من محل فاخر للحلويات اللبنانية، وضع علبة الحلويات وجلست بدار أمامها تنتظره كي يفتح غلافها، ذهب إلى المطبخ ووجد نازان تُعد طعام العشاء، حضنها لأول مرة بهذه الصورة المفاجئة، تعجّبت نازان منه وقالت بفرح وغنج ظاهرين: ما بك؟

قبض على معصمها وذهب بها إلى صالة البيت الصغيرة، هناك فتح علبة الحلويات المليئة بأنواع من الحلويات بأشكال مغرية،

تناولوا الحلويات وشـربوا العصـائر وخلدوا إلى النوم مبكرين على غير عادتهم!

ترعرعت فكرة هادي التي تراوده منذ أن تذكّر الشيخ صابر، ورأى أنها بدأت تنضج.

ثلاث سنوات أمضاها هادي في عمله مشرفًا على قسم الحركة في الشركة، فلا يتم نقل أو توزيع أي جهاز كهربائي دون توجيهه وعلمه، وهكذا فرض هادي نفسـه كأهم موظف يعتمد عليه سـير العمل في شركة الأجهزة الكهربائية!

تمّ الاستغناء عن الأستاذ عامر المدير التنفيذي وقام بعمله هادي بكل اقتدار.

بعد كل ذلك الوقت نضجت الفكرة في ذهن هادي تمامًا، ولم يبق إلا أن يقوم بتنفيذها.

***

(11)

قام الأخوان صابر وهاجد بزيارة معتادة للمستودعات، صحبهما هذه المرة المشرف على قسم الحركة هادي، وبعد أن أمضوا عدّة ساعات في مراجعة المستودعات وكمية الأجهزة المباعة والأجهزة المطلوبة، شعروا بالتعب فأنهوا جولتهم في المساء، ركب الشقيقان سيارتهما وخلفهما سيارة نقل يركب هادي بجانب سائقها، وقبل أن يركب هادي سيارة النقل ذهب إلى سيارة الشيخ صابر، الذي كان يجلس بجانب شقيقه هاجد الذي يقود السيارة، أدخل رأسه من نافذة السيارة وقبّل رأس صابر قائلًا: أرجو ألّا ترد طلبي! ابتسم الشيخ صابر متسائلًا عن طلبه، قال: أن تسمح لي بدعوتك غدًا على الغداء!

حاول الشيخ صابر التملص من هذه الدعوة، لكنّ هادي أصرّ على طلبه أن يُضيفهما، وافق الشيخ صابر على دعوته.

بعد صلاة الظهر مبا شرة و صل صابر يصحبه شقيقه هاجد، كان هادي يقف على عتبة الباب منتظرًا قدومهم، وحين لمح السيارة من بعيد دخل مسرعًا إلى البيت، وأحضر مبخرة تفوح منها الأبخرة الزكية.

حاول هادي بكل قدراته بيان مدى فرحته وسروره بزيارة صابر، وكيف أنه قبل دعوته، رحّب بهما بمبالغة ظاهرة ومُخجلة، وبعد أن تناولوا جميعًا القهوة، وبينما كانت الأحاديث تدور بينهم سمع هادي

صوت سيارة مشتاق، فزّ مستأذنًا، كان مشتاق قد أتى بصحن الغداء من المطبخ الشهير في وسط المدينة، حمل هادي ومشتاق الصحن الكبير المغطى بصفيحة الألمنيوم ووضعوه أمام الضيوف، خرج مشتاق وأغلق هادي الباب الخارجي، وقبل أن يدعوهما للأكل جثا على ركبتيه أمامهما ونزع غترته ورمى بها فوق الصحن قائلًا بصوت مرتجف، هذه ذبيحتكما على الرحب والسعة وأهلًا بكما، وفي الداخل ذبيحة أخرى فاختارا من منكما يريدها؟

تبسّم الرجلان، ولم يفهما مقصده، فقال الشيخ صابر مستفسرًا، نختار ماذا؟

شعر هادي بعطش مفاجئ، جفّ حلقه تمامًا، وجد صعوبة في إكمال حديثه، حاول استحلاب ريقه وترطيب حلقه، فلما استطاع الحديث، رد وقد سخن خداه واحمرّا، ابنتي بدار هديّة لأحدكما فمن منكما يريدها زوجة له؟

أدرك الرجلان أن هادي يفور حماسًا وأنه لا يمزح في حديثه، قال هاجد: نتغدى يا رجل وبعد ذلك نناقش المسألة، هزّ هادي رأسه رافضًا الفكرة، ثم أقسم عليهما أن يخبراه أيهما يريدها، تناجى الأخوان قليلًا، فرد صابر قائلًا: هي لي.

***

(12)

من بعيد تلوح القصور الفاخرة، تحوطها الحدائق باسقة الأشجار والنخيل، لم يجرؤ هادي على الذهاب إلى هذا الحي قبل هذا الوقت، يشعر بضآلته حين يرى عالمًا من الرفاهية والحياة الباذخة «كيف يعيش هؤلاء البشر؟ أيّ حياة يمارسونها داخل هذه البيوت الفسيحة، عشرات الخدم والعاملين والسيارات الفاخرة الملونة تملأ ساحات هذه البيوت الفاخرة، الشوارع تكاد تكون غابات متلاحمة الأشجار، ولا أثر لرائحة غير رائحة الورد العابقة، شعور غامض ومحزن يتوعّد بأن الزمن لن ينصفه وأنه سيمضي به نحو حتفه دون أن تقبض يده على وردة نديّة

مرّت أمام عينيه أحداث سنواته الخالية، خريفًا وشتاءً وصيفًا،

انساب الما ضي والحا ضر معًا بين عينيه، وكل منهما يرتق نفسه، أبلتْ ثيابَ الصبر سنينٌ طويلة في انتظار هذه اللحظات، أنا أحق بها، الشوارع خالية تمامًا، بيت صابر آية في الجمالِ وبراعة في الهندسة، الباب الخارجي مُشرع، وحارس هندي يجلس على كرسيه أمام الباب، طافت أحلام ورؤى في ذهن هادي ونازان وهما يلوذان بسيارتهم الصغيرة تحت ظل شجرة ويتأملان بيت صابر، فجأة خرج صابر دون أن يتوقعا خروجه صباح يوم الجمعة، رجلٌ جسيم، بلحية صغيرة مخضّبة بالسواد أسفل ذقنه، ويلبس ثوبًا أبيض، ناصع

البياض، وغترة حمراء تضوع منها رائحة البخور، تلفّت قبل أن يذهب إلى صلاة الجمعة مبكرًا، أرخى هادي غترته على وجهه مخافة معرفة صابر له، نظرات نازان تعلّقت به منذ خروجه من بيته، أكبرت شخصيته الطاغية، ارتعش جسدها وكأنها هي التي ستُزفُّ له بعد أيام، وليست ابنتها، عقد ذهنه مقارنة سريعة بين بيته الشعبي في ذلك الحي الفقير وبين هذا البيت الشاسع المساحة والذي يُطل على ثلاثة شوارع فسيحة، كانت الكلمات المحبوسة داخل نفسه تحاول الانفلات من معاقلها، العقل يقول لكل قادم ميعاد، الصبر والانتظار بداية الطريق، وفي نهايته سيكون الميعاد، احترس ياهادي.. ستذهب إلى عوالم أخرى بعيدة عن حياتك هذه، منطقة لم ترها، لم تجرّب العيش فيها، لم تطأها قدماك من قبل، عوالم يجب أن تتوخى الحذر في منعطفاتها، أصواتهم غير أصواتنا، وأحلامهم غير أحلامنا، الروائح المنبعثة من ملابسهم وأجسادهم غير تلك الروائح الآسنة التي تهرش جلودنا، نسمات الهواء باردة، ونحن نئن تحت كتل الغبار التي تهيجها الأقدام وعجلات السيارات، احترس يا هادي، القوم ليسوا كمن عهدتهم، ستطأ أرضًا رخامية لامعة مصقولة كالزجاج، ستشرب من نمير الماء وعذْبه، لن تُغمض عينيك حين تتجرع دفقة ماء من قدح معدني مثلوم، ستأكل الأفخاذ والأكتاف المكتنزة من لحوم الضأن، ولن تربض أمام باب الجزار ليقذف لك بعظم يكاد يكون مصقولًا، احترس ياهادي فقد أوصلتْك بوصلتُك إلى أبواب النعيم،

إلى المرافئ، إلى الظلال، إلى السكون والدعة ونوم الضحى، إلى لوحات الجمال التي كنت تراها وأنت تُقلّب صفحات المجلات في المكتبة، التي كانت بعيدة المنال، أو لم تلُح في ذهنك أصلًا، هنا سترى النساء متسربلات بملابس ذات ألوان زاهية، ولن تراهن متشحات بالسواد، وسترى الشباب يرتدون قمصانًا ملوّنة وقد طُبعت على صدورها صور الفنانين والفنانات الأجانب، ولن تصاب بتلوّث بصري وأنت تشاهد ملابس الأكفان ملتوية كيفما اتفق على أجساد ضامرة، لن ترى الملابس المشتراة للتو من بائع ملابس مستخدمة أو ملابس الموتى، هنا ستجد العافية تتفجّر من خدود النساء المتكوّرة، وسترى مؤخرات النساء رجراجة لا تكاد تسكن لخطوة واحدة، وسترى الرجال كأنهم أبواب متحركة من فعل النعيم والعافية، احترس يا هادي، بدر ستتبدّل طباعه، بدر سيخرج من الوحل العفن، من الرفاق الذين قذف بهم الفقر إلى وحول الجريمة واللذة الشاذة، بدر سيقرأ.. سيتعلّم.. سيغسل جسده وقلبه وعينيه جيدًا، سينسى فترة حياته الأولى في أدغال الفقر وأزقة العوز، وحارات الشواذ، سيقبض على إنسانيته المنفلتة.

هادي ونازان يسافران، يبتعدان، يخلقان عالمها الآتي، يرسمان بهجتهما الموعودة، جنّتهما، يبدعان في خلق عالم يشتهيانه، يتوقان إليه، كان غيبًا وخيالًا ونزوات مراهقة تعبر لحظاتهما في سنيّ عمرهما، الآن بداية صعود درج الحياة.

رسم له خياله الطامح صورة بدر وهو يرتدي اللباس الفاخر، والحذاء الأسود اللامع، ويتحدّث بطريقة الأغنياء المثقفين حين يكتفون بهزّ رؤوسهم وتحريك شفاههم بابتسامات طفيفة حين يتفقون على أمرٍ ما.

استفاق من لُجّة أفكاره، تلاقت في عينيه دمعة وابتسامة، مسح دمعته بطرف غترته وأكمل يُحدّث نفسه وهو ينظر إلى نازان صامتة بجانبه، نازان تلك اليتيمة المسكينة التي لم تذق في حياتها يومًا ناعمًا، توفي والدها ولم ترِثْ منه غير أرباح الورشة الطفيفة التي –ويا للأسف والندم– كنتُ أقتصُّ منها لنفسي، ووالدتها ماتت دون أن ترث منها خاتمًا ولو من حديد، آن لهذا الجمالِ الهندي البارع أن يرعى هذه الأيام القادمة ليتنعّم بها، أن يحتلب ملذاتها، أن ينعم بذهبها وألماسها وزخارف ألبستها، آن لك يا نازان بعد كل صبر وفقر وعوز تناسلتِهِ أبًا عن جد، سينتهي تعفُّن صدرك، يجب أن تنعمي بعد اليوم، وأن تُنيخي ركاب الفقر، الآن يا نازان أرى الأفق من بعيد يَعِدُني بالبشرى.

قطعت أفكاره سيارة بيضاء من نوع «شفروليه» تخرج من بوابة البيت، كان السائق شابًّا صغيرًا، وكان يبدو أنه في عجلة من أمره، إذ اختفت السيارة بلمح البصر، أمر هادي سائق الأجرة بالعودة به إلى بيته.

غبش المساء يزداد شيئًا فشيئًا.

***

(13)

حين يقيس الفرق بين حياته وحياة صـابر، تتدافع الأسـئلة أمامه، يجد إجابات كثيرة لهذه الأسئلة، لكنّها الإجابات التي يصنعها ذهنه، لذا يظل أسـيرًا لأفكاره وأهوائه، لا يجد في صـدره حقدًا على صـابر، ويلوم دومًا الحظ الذي نام عنه واسـتيقظ لصـابر، يتمتم بكلمات لا معنى لها، تصدر من بين شفتيه دون أن تتضح معانيها له.

كان الزواج في بيت هاجد شقيق صابر، وليمة صغيرة اجتمع عليها عددٌ من أقربائهم، خرج بعدها صـابر واتجه بصـحبة هادي إلى بيته، هناك كانت بدار قد اكتملت زينتها التي أنفقت نازان عدة ساعات كي تجهزها بمساعدة جارتها، ركبت بدار بجانب صابر، وودعهما هادي بحرارة وإشفاق ومودة سالت على إثرها دموعه بغزارة.

في الطريق كان صـابر فرِحًا منتشـيًا، يرى أنه الآن ينال شـهادة نجاحه، يرى أن كل ما بذله من جهد وتعب وعناء في حياته يأتي اليوم الذي يُكرّم فيه، وتُعلّق الأوسمة على معاليق قلبه، بدار الطفلة بجانبه، وخياله يسـافر ويشـيّد أمام ناظريه عالمًا سـحريًّا مترعًا باللذة، يتذكّر حين دخل هاجد عليه بعد صلاة الظهر في يوم شتوي بارد، كان هاجد في قمّة انفعاله، طلب من أخيه صابر أن يُقفل باب المحل، فعل صابر ذلك مندهشًا من اندفاع هاجد الذي لم يعتاده منه، قال هاجد:

- صدر قرار البلدية بشأن الأرض!

- أي أرض؟

أشار هاجد إلى الجهة التي خلف صابر وهو يقول:

- أرضك!

- ماهو القرار؟

- خصصتها البلدية لتكون سوقًا خاصًا للأدوات الكهربائية.

صمت صابر وكأنه يجمع أشتات تفكيره ثم قال:

- هذا يعني أن ثمنها سيتضاعف؟

- -عشرات المرات.

طافت في ذهن صابر هذه الحادثة التي نقلت حالهم من هوّة الفقر إلى سماء الثراء، شعر صابر بهزّة من جسد بدار، التفت إليها، ثم أحاطها بذراعه بقوّة تملُّكٍ قصوى، بدار طفلة رفع سنّها جسدها الممتلئ، حتى كاد صابر يغرس قلبه في جسدها من شدّة ضمها إلى صدره.

فرحت الطفلة بدار بزواجها دون أن تعلم أنها الزوجة الثانية، ولو كانت قد علمت لما اختلف شيء في تفكيرها، فهي طفلة لا تستوعب شيئًا مما يُفكّر به الكبار، صابر كان مضطرب المشاعر مرتبكًا، بين فرحة بهذا الصيد الثمين وهو على أعتاب شيخوخته وهي طفلة تصغره بخمسة وعشرين عامًا، وبين النار التي تغلي الآن في بيته، إذ انخرطت زوجته مع ابنها مكرم وابنتها رزيل في بكاء متصل، أوقف

صـابر سـيارته بجانب البيت الذي اسـتأجره بالقرب من بيته الكبير، ودخل ممسكًا بيد بدار.

***

(14)

في مخدعهما، وعلى سريرهما، بجانب بعضهما بعضًا، سافرا، هادي سافر نحو قبيلته، ونازان سافرت إلى مسقط رأسها (دلهي) ورحلتها إلى هذه البلاد.

أي فقدٍ شعرا به وهما يزفان طفلتهما إلى رجل كبير في السن.

التحوّل، فاصلة في هذه الحياة، الشقاء كل الشقاء في بلوغ هذه الفا صلة بين عالمين، التحوّل عالم جديد، عالم بثمن.. بتضحية.. لا شيء يأتي دون مقابل في هذه الحياة.

عند ما تكون الرغبة في الثراء أكبر من الطموح، أكبر من القدرة، أكبر من الشغف، أكبر من الرغبة نفسها، عندئذ فقط يكون الإنسان عاجزًا عن احتمال أي تأجيل أو مماطلة أو تفكير!

التحوّل، نقلة من دوّامة إلى دوّامة، والفرق بينهما كما الفرق بين الليل والنهار، بين الموت والحياة، كان يجب أن تكون بدار.. وكانت!

في لحظة وقف الزمن، وقف عند خط الفقر والعوز، زوجة بلا تاريخ، قادمة من الهند مبتورة العلاقة، وابن ضال لا يرتدّ عن الولوغ في شهواته المحرّمة، وفتاة صغيرة لا ترى العالم إلا من خلال نافذة صغيرة تُطلُّ على شارع تجري في وسطه مسارب مياه قذرة.

أما وقد بلغ الفاصلة التي ستنقله إلى عالم آخر جديد، عالم حافل بالحياة، وبالحياة فقط، فقد أدرك الآن أنه بدأ يهجر عالمه الفقير، التفتَ إلى نازان التي كانت غارقة في سهومها، شعر بجفاف في فمه وحلقه، ذهب للتبول في الحمام للمرة الثالثة خلال ساعة واحدة فقط، شكّ أن يكون مريضًا أو مضطربًا... لا يعلم.

نازان التي أدركت أن القَدَرَ سار بجانبها منذ ولادتها، ودفعها للنجاح، ومهما يكن الفقر والعوز الذين تشعر بهما الآن فهما أقلّ بكثير مما كان ينتظرها في دلهي، ستعود بلا أبٍ ولا أمٍ ولا مال!

فأي مصير كان ينتظرها لولا أن القَدَرَ تدخّل وأتى بهادي إلى حياتها، وقد صبرت على فقره وسوء رائحته زمنًا طويلًا، والآن ها هي تنال جائزة صبرها، فلا تزال امرأة فتيّة قويّة لم تنهل بعد من لذّات الحياة شيئًا.

سمعا أذان الفجر، لم يكن لديهما رغبة في النوم، قامت نازان لتعدّ القهوة، بينما ذهب هادي إلى الحمام ليتبول للمرة الثامنة هذه الليلة، خرج من الحمام دون أن يتوضأ فمنذ مات بابا محبوب الذي كان يصحبه إلى المسجد لم يؤد الصلاة إلا في أوقات قليلة.

جلسا في صالة البيت يتناولان القهوة، كان الصمت يتحدّث.. يقول!

رفع عينيه ليرى ملامح وجه زوجته، كانت ملامح ساكنة هادئة وكأنها لم تخرج للتو من حرب الأفكار والأوهام والتصوّرات، كانت

بدايات الشيخوخة المبكرة ترسم خطوطًا باهتة في منعرجات الوجه، تكدّر هادي للحظات، فلا يريد أن يسبقه الزمن، كان يودّ لو تخلى عنه الزمن سنوات قليلة حتى تتمكن قدماه من الوقوف بصلابة في عالمه الجديد، أزاح نظراته بسرعة كي لا يستغرق في البؤس!

لم تُشرق الشمس بعد، ولم يضيئا الأنوار، كانا بائسين رغم ما يلفّ خيالها من وعود وبشائر، غادرت بدار ليلة البارحة، فسكتت جدران البيت هذا الصباح، النافذة لم تُفتح كعادتها كل صباح، حتى العصافير التي كانت بدار تضع لها الحبّ والماء لم تغرّد في النافذة هذا الصباح، أما بدر فلم يفقداه ولم يسألا بعضهما عنه.

***

(15)

أيّ مسافة قفزتها بدار في مسار حياتها، كان يجب عليها أن توصد بابًا عملاقًا مُحكمًا بينها وبين الماضي كلّه فلا تتسرّب منه ذكرى حادثة ألم فتخدش خميلة الأيام المُترفة، حتّمت عليها حياتها في ظل صابر أن تنفي عن ذهنها كل يوم سبق هذا اليوم، أن تنسى تفاصيل حياتها الصغيرة منذ وعت على الحياة، أن تنسى بيتهم الشعبي و سط البلد والحي القديم ونوعية البشر هناك ، حتى كان يجب عليها أن تتغافل عن سلوك شقيقها بدر، وأن لا تعرض سيرته أمام صابر أو أن يدور في خلدها حدثٌ اقترفه في يومٍ ما، الحياة الجديدة صارمة، صارمة جدًّا، وإن لم يفرضها أحدٌ عليها بلسانه، بل كانت الحياة الجديدة بأبعادها تقول لها كل شيء، تنصحها، تؤنبها، تُلزمها، كانت بدار ذكية جدًّا استطاعت استيعاب العيش في الحياة الجديدة، وكان أي باب يوصدُ في وجهها لا يجعلها تنفر أو تتمرد عليه، على العكس تمامًا كانت، تتحايل بابتسامتها، بعفويتها، بأسئلتها النقيّة كما تتصنعها بمهارة فائقة، كانت تلج القلوب كلها، تلجها وتسكن بها، بعيدة عن صابر وقريبة منه حدّ الالتصاق، خمسة وعشرون عامًا تفصلهما، للزمن دومًا إرادة لا تُرَدّ، تعلّق بها صابر يومًا بعد آخر، ملكت أوقاته وهواجسه ورغباته، طرِب بها أيما طرب، استعاد معها ما فقده من لحظات حياته في تكوين تجارته الباذخة، حين استوت

نفسه، حين نضجت أيامه، حين حاز كل ما كان يحلم به، لم يبقَ غير أن يجد نفسه، أن يستلّ نفسه من غوغاء الأعمال، من ترهات الحياة، من شدائد الأيام، كي يُمضي ما تبقى له من عمر، كي يقطف ويتلذذ بنجاحه، فإذا بزوجته أم مكرم قد أنهكها المرض، وإذا بالعمل يترصّد ما بقي له من سنين، في تلك اللحظة، في لحظة عطشه القصوى، تراكمت السحب فوق سماء أيامه، بعث القَدَرُ من يبحث عنه في كل مكان كي يقايض أيامه الباقية بنزر يسير مما يملكه، لم يشاهد الغيوم وهي تتجمع وتتكوّم شيئًا فشيئًا، كان لسانه يابسًا وكانت لديه خزائن يشتري بها عذْب الماء، لكن الأمر لم يأته، وحين رمى هادي بغترته على صحن الغداء وأقسم عليه أن لا يمد يده للطعام إلا بعد أن يوافق على أن يشرب من ماء عذْب وضعه بين يديه، لم يتردد صابر في تلك اللحظة، كان ينتظرها، يأملها، هادي يجلس على ركبتيه متحفّزًا يخفق قلبه بعنف منتظرًا فرجًا ينتشله من حوْمَة الفقر، من تعاسة حظ لازمته طويلًا طويلًا، صحن الطعام مغطى بقصدير يحفظ حرارته، صابر يسائل هاجد بعينيه، هاجد كعادة وجهه المحايد الذي لا يُشفى من تردد، حينها ينطق صابر، يقذف بمفتاح حياته في وجه هادي، ويقول: (هي لي)، تنفرج شفتا هادي عن ابتسامة هي الأرحب في حياته كلها، ابتسامة تسعه وتسع بدار وبدر ونازان ومستقبلهم.

داست بدار بقدميها على ماضيها الدامس، أوصدت ذهنها عن كل ما كانت تسمعه من نصائح المواساة التي تقذفها في سمعها كل من

رأت حالة عيشهم، الآن رأت الحياة التي كان يجب أن تعيشها، رأت ما كان ذهنها يصنعه من فُرج خيالية تتسلى بها أو تسافر معها بعض الوقت منتشية بلذّة بعيدة، لا تلبث أن تعود على وقع أصوات بائسة حولها أرهقها الفقر، واغتال العوز آمالها، كان طقس الغرفة باردًا منعشًا، ركّزت بصرها على مخرج الهواء البارد في السقف، تذكرت دوامات اللهب تنفثها المروحة المثبتة في سقف غرفتها في البيت الشعبي، بدا لها أن النوم هنا ليس كالنوم هناك، الحياة هنا تبعث على الشوق إلى الحياة والتشبّث بها، والحياة هناك كانت تطرد الناس من حماها.

ثمة اعتقاد غريب يراودها دائمًا أن هناك ما يخبئه القدَر لها!

«في كل أحلامي المستحيلة لم أكن أتصوّر أن يكون هذا هو مستقبلي! شعور غامض ينتابني حين أرى أنني قتلت في قلبي كل معاني حياتي السابقة، أحلامي وفيّة صادقة، أورثت في أعماقي الخدر والدفء والحيوية».

***

(16)

صـــابر الذي أغدقت عليه بِدار من نِعمها ما نَعِمَ به وأوغل، ذاق رحيق شبابها وارتوى من لذّتها، تنعّم بها وتقلّب بين أحضانها يرشف لذّة أيامه اليانعة، بذل ما تبتغيه نفســها المتوثبة لكل جديد، منحها مفتاح خزائن قلبه وماله، غرف لها من ماله قدر ما منحته من رشفات الحياة العذْبة، جلب لها من كل بلاد الدنيا زينتها، وأمّن مســتقبلها الفتيّ بأن كتب بعض أملاكه لها.

يقف مكرم بجانب أمّه معتكر المزاج، يتكوّم داخله بكاء مكتوم، أراد أن يمســح حزنها، يحضــنها مهوّنًا عليها أمر زواج والده: «هذه نزوة تأخذ وقتها وتنطفئ!». تمدُّ أمّه عينيها المســكينتين متســائلتين، فيزداد وجيف قلبه إشــفاقًا، ويحضــنها بقلبه «لا عليكِ، أنا وأختي بجانبك، نحن عالمكِ، وأبي ســيعود.. صــدقيني ما إن تنتهي نزوته حتى يعود إليكِ طالبًا الصــفح والمغفرة»، يخفت صــوت أمّه وكأن قناعة اندلقت داخل قلبها، فأيقنت بعودة زوجها إليها قريبًا، طمح خيالها فازداد يقينها بعودته الحتمية، رزيل كانت بعيدة ولم تعِ أشــياء كثيرة كانت تدور في فلك الأســرة، لذا فضّــلت أم مكرم عدم تلويث نقائها وستُخبرها بالأمر في موعد مناسب.

غادر مكرم البيت، ركب ســيارته الشــفروليه، وذهب إلى مكتب والده، كان والده قد خصص له قبل نحو عام غرفة بجانب مكتبه، كي

تكون مكانًا يقضي فيها وقت دراسته وأداء واجباته المدرسية، وفيها يجلس مع أحد أصدقائه يتناولان الشاي ويراجعان دروسهما، جلس مكرم على مكتبه بعد أن أقفل الباب بالمفتاح، كانت أمامه دفاتره وأوراقه وبعض كتبه المدرسية وفي طرف طاولته مجموعة روايات لنجيب محفوظ ويوسف إدريس ويحيى حقي!

لم يخرج مكرم من مكتبه ومن صمته إلا بعد أن سمع حركة خروج موظفي الشركة، انتظر قليلًا ثم خرج وذهب إلى البيت، هناك وجد أمّه في صالة البيت تجلس وحيدة أمام التلفزيون، وأخته رزيل في غرفتها، ذهب فورًا إلى غرفته مهملًا مناداة أمّه له بتناول العشاء!

***

(17)

عشـرة أيام بلياليها قضـاها صـابر مع بدار، لم يخرج لحظة واحدة من البيت، في اليوم العاشر سمع طرقًا متواصلًا على الباب الخارجي، فتح الباب كان هادي يحمل حقيبة كبيرة وبجانبه نازان و قد التفّ جسـمها بعباءة سـوداء، أشـار لهم بالدخول إلى البيت واسـتأذنهم بالخروج، دخل هادي ونازان، كانت بدار تستقبلهم بابتسامة وسعادة تفوق ما توقعاه بكثير، ذهب صـابر إلى البيت الكبير، كان الو قت ظهرًا، و جد زوجته وابنه مكرم يتناولان الغداء، قبّل رأس زوجته، وسأل مكرم عن أخته رزيل فقال إنها في غرفتها!

ساعة قضاها صابر في بيته أعادت أملًا في نفس زوجته التي بذلت نفسـها متوددة له، كان قلقًا من مقابلتها، وكان يُعِدُّ نفسـه لكل سـؤال تقذفه في وجهه بغضـب وبكاء، لكنّه رأى منها صـفحة أخرى، وكأنها لا تريد أن تخسره وتخسر كل شيء!

حين همّ صابر بالخروج تبعه ابنه مكرم، شعر أنه يفتقده، أنه أصبح بعيدًا، ركب بجانبه وذهبا إلى مقر الشركة.

هادي كان يجوب الغرف والممرات والحديقة الخارجية وكأنه يتفقدها، قال لبدار بعد أن أنهى جولته، هذا البيت ملكٌ أم إيجار؟

ردت عليه بدار:

- يقول صابر إنه إيجار.. قال سنمكث فيه سنة واحدة إن أعجبنا اشتريناه!

هزّ هادي رأسه، وقال:

- البيت أصغر من بيته الكبير، لكنّه أيضًا جميل وجديد وتصميمه رائع.

- يقول صابر إنه لن يأتِي هذه الليلة، ما رأيكما لو تنامان عندي!

أشارت بيدها إلى غرفة في الطابق الأرضي وأكملت:

هذه غرفة مجهزة، يقول إنه سينام ليلة هنا وليلة في بيت زوجته الأولى.

وافق هادي على الفور، تركهما وخرج!

***

(18)

جلس صـــابر وشـــقيقه هاجد وابنه مكرم في مكتب صـــابر، كان حوارهم حول العمل والعقبات التي تعترضـهم، وسُـبل تذليلها، بعد نحو ساعة خرج هاجد متوجهًا نحو غرفة مكتبه، التفت صابر إلى ابنه مكرم وقال بصوت أبويّ:

- كم بقي على موعد الامتحانات النهائية؟
- أقلّ من شهر!
- إذًا عليك مضاعفة جهدك.
- أنا فعلًا أجتهد.

صابر يُخفي في قلبه حنانًا يفيض بالعذوبة لمكرم.

- العمل يأخذ جُلّ وقتي، وبدار تجلس وحيدة طوال النهار، أريدك أن تذهب إليها وتُمضـي وقت المذاكرة، هناك يمكن أن تذاكر دون إزعاج!

لأول مرّة يعرف مكرم اســم زوجة أبيه، ارتبك، لا يعرف ماذا يقول، وبعد لحظات أومأ بالموافقة.

لم يكن بيت والده الآخر بعيدًا، وجد أن المشي إليه أفضل في مثل هـذا الوقـت المعتـدل الطقس، حمـل كتـاب الريـاضـــيـات ورواية مترجمة، قبل أن يصـل في الموعد الذي حدده له والده، رأى من بعيد والده يخرج من البيت ويركب ســيارته، وصـــل بعد أن غادر والده

بدقائق، فتحت له بِدار الباب، كان هذا أول لقاء له ببدار، بدار كانت رغم امتلاء جسدها جميلة ممتلئة شوقًا للحياة والناس، عذْبة الابتسامة، دخلت قلب مكرم بلطفها وأناقتها، سارت أمامه إلى مجلس الضيوف، جلس على كنبة عريضة وأمامه طاولة وضع عليها كتاب الرياضيات والدفتر والقلم ووضع بجانبه الرواية المترجمة، كان المجلس مستديرًا وكانت المقاعد متراصة على شكل مستدير، مقاعد يبدو أنها فاخرة إذ كانت قد كُسيت جلدًا فاخرًا بلون أخضر فاتح، وكان سقف المجلس قِطَعًا مربعة الأشكال مصنوعة من خشب لامع وقد خُطَّت على جوانب هذه المربعات المتلاصقة حروف عربية مكتوبة بخط الرقعة، أما الجدران فقد كُسيت أحجارًا رقيقة بلون الزهر، وكانت هذه الأحجار رقيقة حتى تبدو لمن شاهدها كأنها مهشمة بغير اتساق، إذ يظهر من شقوقها لون الجدار الإسمنتي، كان المجلس مريحًا للنفس والنظر، نظر مكرم إلى السجادة العجمية الفاخرة التي لا يمكن نزع النظر عنها بيسر، فقد امتلأت برسوم الأزهار المتناسقة بدقة، وكذا الأشكال الهندسية في جوانبها، وتعدد الإطارات داخلها، لحظات وأتت له بدار بصينية عليها إبريق شاي وصحن حلوى، قام مكرم مسرعًا وحمل طاولة صغيرة إلى جانب مكان جلوسه، فوضعت بدار الصينية النحاسية ذات اللونين المدمجين لون نحاسي بلون برونزيّ، قالت له وابتسامة

عذْبة تقطر من عينيها الواسعتين: «إذا انتهيت من المذاكرة سنجلس ونتحدث»، أومأ برأسه موافقًا، فانصرفت بدار إلى داخل البيت.

امتحانات الثانوية العامة على الأبواب، والمنهج طويل وعسير، في البيت كان منظر أمه يؤلمه خاصة إذا بدأت تندب حظها التعس، ومع تضاعف آلامها حين يسري الوجع في مفاصلها ويُنهكها، يشطر قلبه أنينها، فلا يمكن لذهنه أن يصفو، ولا يمكن لمسائل الرياضيات أن تفكّ له طلاسمها وذهنه مُتعب.

أما مكتبه في الشركة فقد آل إلى رئيس قسم الحركة في الشركة هادي، أو الأستاذ هادي - كما طلب من الموظفين والعاملين مناداته - فلم يجد مكرم بُدًّا من الانصياع لطلب والده نقل مكان مذاكرته إلى بيت بدار، كي يؤنس وحدتها إلى حين وصول العاملة المنزلية التي اتفق معها على النوم في بيت بدار حين يبيت الشيخ صابر في البيت الكبير.

«ألمح طيفًا خلف الباب الموارب، هسهسة خلف الباب، كنتُ أرى ضوءًا شحيحًا في الردهة خلف الباب، مسائل الرياضيات صعبة الاستيعاب، عصيّة على الفهم السريع، لذا أُكرر محاولاتي في حلّ ما استغلق عليّ منها، وهذا الأمر يتطلّب منّي ذهنًا غير مشوّش، كانت النافذة تُشرف على حديقة صغيرة ينبعث إليّ أرَجها الشذيّ، شجرة جميلة تحمل أزهارًا غاية في الجمال، تلثم أغصانها زجاج النافذة مع كل موجة هواء، لا أدري لماذا حملتني أزهار هذه الشجرة بعيدًا، لم

أتأمل مثل هذه الأزهار من قبل، كانت نظراتي تمرُّ عليها سريعًا بنظرات عابرة لا تتوقف عندها، دنوتُ من النافذة حتى لاصقتها، تتمايل الأزهار بلغة خِلتُ أني أفهمها، وكأنها كانت تتحدّث معي فعلًا، كم هو منعش ضوع هذه الأزهار الفاتنة، لكن الصوت المنبعث من خلف الباب الموارب زاد وضوحه، فسحبت نظراتي التّواقة للغصن والزهر، قال لي أبي قبل أيام إنه جلب عاملة منزلية تأتي ليلًا إلى هنا لتنام حين يكون والدي في بيتنا، ربما يكون هذا الصوت صادرًا منها، ربما كانت تجلس خلف الباب لأمرٍ ما، لا أُريد التدخل في شأنهم، وجدتُ أن ذهني لم يعد قادرًا على استيعاب وفهم مسائل الرياضيات، تناولت الرواية المترجمة، قرأتُ ثلاثة فصول منها، لكنّ الصوت ما يزال يُكدّر صفو ذهني، جمعتُ أوراقي وأخذت كتبي وهممت بالخروج، عند الباب وقفتُ قليلًا في انتظار خروج الشبح القابع خلف الباب الموارب، لكن لم يخرج أحد، فاتهمتُ أوهامي في تبديد وقت مذاكرتي، وأكملت سيري خارجًا، عرجتُ على مكان شجرة الزهر القريبة من النافذة، هممت بقطع غصن أعلاه زهرة تشدو، لكنّ نفسي صدّت عن فعل ذلك، وأشفقت على زهرتي من أنانيتي، فتركتها ومضيت إلى بيتنا، في الطريق تذكرت أن بدار كانت ستأتي لنتحدث بعد أن أكون قد انتهيت من مذاكرة دروسي، أسفتُ لأني نسيت ذلك».

***

(19)

قبل أن يفتح باب مكتب والده ويدخل، سمع صوت هادي، صوت هادي يتميز ببحة لطيفة، تجعل من يسمعه من بعيد يعرف صاحب الصوت، تراجعت خطوات مكرم إلى أن وصلت إلى باب مكتبه قديمًا ومكتب هادي بعد ذلك، فتح الباب ليجد هادي يُمسك بسماعة الهاتف ويضحك طويلًا وهو يضع ساقيه أمامه على المكتب ووجهه نحو الجدار الجانبي للمكتب، كان بدر جالسًا في المقعد الوثير في طرف المكتب يعبث بسلسلة طويلة عُقد في طرفها عدة مفاتيح، انتظر مكرم لحظات ريثما تنتهي مكالمة هادي، ابتسم لبدر ولم يعلم بعد أنه ابن هادي، وحين طال وقت المكالمة طرق بأصبعه باب المكتب، فزّ هادي وأنزل ساقيه، وأنهى المكالمة بكلمات مقتضبة، جلس مكرم في المقعد أمام مكتب هادي، تبادلا التحايا، أسئلة كثيرة تتلجلج في صدر مكرم، يريد إجابات عليها من هادي، لم يرد طرح أي منها الآن، حدّث نفسه أن الأيام القادمة ستجيب بنفسها عن كل سؤال عنيد يصرّ على أن يجد إجابته المنتظرة، استأذن مكرم وخرج متجهًا إلى مكتب والده، ما كاد يُغلق الباب خلفه إلا وصوت يناديه، التفتَ فإذا هو بدر، اقترب منه بدر الذي ربما أوصاه والده سريعًا بالتواصل مع مكرم، كان بدر في مثل سنّه تقريبًا، لكن منظره كان مُزريًا، إذ كان ثوبه قذرًا، وكانت ياقة ثوبه داكنة، كانت أسنانه صفراء حد الاحمرار، وتفوح من فمه رائحة سجائر عفنة! قال له بدر

بطريقة فجّة مباشرة: بودّي لو نتعرف على بعضنا أكثر! سأله مكرم: من أنت؟ التفتَ بدر نحو مكتب والده وكأنه يظن أن والده يقف أمام الباب، وقال مشيرًا برأسه إلى مكتب والده هادي، أنا بدر أخو بدار!

أدرك مكرم أن هادي أرسل بدر فورًا ليتعرف عليه، ابتسم ورد عليه، أهلًا بك، أنت الآن قريبنا وسنكون أصدقاء في المستقبل.

مرّ صابر بهما وهو في طريقه إلى مكتبه وحياهما سريعًا ودخل مكتبه، فدخل مكرم خلفه.

وجد عمه هاجد يجلس على المقعد في وسط المكتب ويقرأ الصحيفة، قبّل مكرم رأس والده ثانية وصافح عمه هاجد وجلس بجانبهما، لحظات ودخل هادي، اتجه فورًا صوب صابر وقبّل رأسه ويده، وصافح هاجد ومكرم، ثم وقف واضعًا يديه خلف ظهره منتظرًا أمر صابر، شعر صابر بالحرج من وقوفه، فقال له ما بك يا هادي؟ أسدل هادي ذراعيه على جنبه وقال:

- يا عمي اتسعت المدينة وزادت زحمة السيارات، وبيتي في وسط المدينة بعيد جدًّا عن مكان عملي..

قاطعه صابر قائلًا:

- لا عليك، اشتريت الفيلا التي تسكنها بدار، وسأمنحها لك تسكن فيها أنت وزوجتك، أما بيتك الشعبي في وسط المدينة فيمكن أن نجعله مستودعًا لنا أو نشغله بما تحتاجه الشركة.

اذهب الآن إلى عملك، نظر صابر إلى ساعته واستأذن لذهابه إلى موعد المستشفى الذي حدده سابقًا لزوجته أم مكرم.

اقترب مكرم من عمه هاجد، وكأن غيمة من الكآبة تظلله، شعر مكرم بحاجة في صدره إلى التحدّث مع أي أحد، وجد عمه هاجد يضع فنجان القهوة، فابتدره قائلًا: ما رأيك به؟

- من تقصد؟
- أقصد هادي!

نقل هاجد نظراته نحو نافذة مطلّة على الشارع العام، قام من مكانه، اقترب من النافذة، نظر بعيدًا، ثم التفت نحو مكرم وقال له: ما رأيك لو خرجنا من هنا؟

كان صابر يقف أمام سيارته ولم يغادر بعد، رأى هاجد ومكرم يخرجان من باب الشركة، نادى ابنه مكرم باشارة من يده، وحين اقترب منه مكرم وجد وجهه صارمًا محتدًّا، سأله : ماذا كان يقول لك بدر؟ تردد مكرم قليلًا ثم أجاب: يطلب أن نتعرف على بعض! زفر صابر بحُرقة وقال محذرًا مكرم: أنصت إليّ، ابتعد عن بدر فهمت؟ نعم فهمت، لا أُريد أن أسمع أنك ترافقه! أومأ مكرم برأسه مطيعًا.

كعادته عصر كل يوم تناول مكرم كتبه ورواياته وأقلامه ودفاتره وخرج من البيت الكبير ميممًا وجهه نحو بيت بدار، قرع الجرس وانتظر طويلًا قبل أن يُفتح الباب كهربائيًّا، دخل مصوّبًا نظرات ناعمة نحو شجرته التي ظن أنها تنتظره، كان باب مجلس الضيوف مواربًا

دفعه ودخل، أدنى الطاولة ووضع عليها كتبه وأوراقه، لحظات وطرقت بدار الباب بنعومة ودخلت، قام لتحيتها، رفّ قلبه حين رأى الفتاة فاتنة حقًا بما أضافته على نفسها من بهاء، فستان قصير يصل حدّ ركبتيها فتبدو ساقاها المكتنزتان المتناسقتان تناسقًا بديعًا، كان الشاب في حيرة من نفسه نظراته تتلاعب في كل مكان، لحظات وعمّ المجلس عطرها الذائع بحرارة نفسها وتوقها إلى الحياة، عاتبته على خروجه الفائت دون أن ينتظرها، تذرع بنسيانه وعجلته، كانت تبتسم وتومئ برأسها فترتجّ شعيرات ناعمة ساقطة على جبينها.

خرجت وبعد لحظات عادت تحمل صينية عليها كأس عصير طازج وقطعة حلوى صغيرة، جلست بالقرب منه، كانت مشتعلة بالفتنة، وكانت ترسل نظرات..... شعر بالحرج الشديد من اقترابها منه، سألها محاولًا إعادة السيطرة على وضعه، ومبددًا حرجًا أخلّ وشتت تفكيره:

- هل أنتِ سعيدة مع أبي؟

توقعت بدار أن تسمع منه أي شيء غير هذا السؤال المفاجئ والمقتحم حياتها بفجاجة لم تنتظرها، ارتبكت كثيرًا (هل يقصد بسؤاله أن يطمئنّ عليّ أم على والده؟ بماذا أُجيبه؟ هل أقول له إن فارق السن الكبير بيننا هو العثرة التي عجزنا أن نتجاوزها، هل أقول له إنني لم أختر والدك بل هو اقتراح أبي كي يلج بنا إلى عالمكم؟ هل أقول له إني راضية على كل حال بنصيبي؟).

تدافعت الأسـئلة على ذهنها في لحظة واحدة، ولـمّا اسـتبطأت نظراته الإجابة تحفّزت بدار للإجابة بابتسامة وادعة:

- هـل تعـرف يـا مكـرم أني لـم أكـن أظـن أن والـدك هـو مـن سيتزوجني؟
- كيف؟
- حين دعاهم والدي لوليمة الغداء، وتم الاتفاق على خطبتي، بصُـرتُ بهم من خلال فتحة الباب، رأيت والدك بهيبته ورأيت عـمّك هاجد الشـابّ المتأنق بجانبه، لا أدري لم ذهب بي خيالي إلى أن هاجد هو من سـيتزوجني، وظلت صـورته وهو جالس بجانب والدك في خيالي إلى أن دخل غرفتي والدك! رفعت نظري نحوه طاردة الخجل الذي عزمت سـابقًا على تمثيله، حينها فقط أدركتُ أنني كنتُ متوهّمة، وأنه صـابر وليس هاجد!

مرّت هذه الحكاية على سـمع مكرم دون أن تنال دهشـته أو تلفت نظره كثيرًا، فما كان يسـأل هذا السـؤال إلا لكي يجد إجابة لسـؤال يتردد في ذهنه.

اسـتأذنت بدار وخرجت متعللة بعمل منزلي ينتظرها، ازدحمت على خاطره الأسئلة، لم يستبن من حديثها جواب سؤاله: (لماذا لم تُجب عن سـؤالي؟ لماذا نقلت الإجابة إلى حكاية طريفة؟) التفت عبر النافذة المُشـرعة إلى شـجرة الزهر وهي تُدلي بزهرة نحوه، كان

الغصــن يتدلى وفي طرفه زهرة تناديه، قام من مكانه، أثنى ركبتيه على المقعد، ووجهه نحو النافذة، رفع الغصــن برفق، وأخذ يتشــمم عطر الزهرة الداعية، جال بنظره نحو صــويحباتها من الزهور المتلألئة، شاقه الزهر والماء ونسمة هواء تصافح وجهه بنعومة، كره العودة إلى كتب الدراســة، غابت بدار وغاب ســؤاله وهو يقلّب نظراته بين وجنات هذه الزهور.

***

(20)

في أحد المطاعم السـريعة تناول مكرم وعمه هاجد وجبة الغداء. تتزاحم في ذهن مكرم الأسـئلة، سـؤالٌ يعنّ وآخر يغادر خائبًا حسـيرًا بلا إجابة....، وكلما همّ أن يبثّ ما في صـدره إلى عمه أوقفته العلاقة الناشـئة حديثًا بينهما، فلا هو يجسـر على فضّ ما يملأ صـدره من أسئلة، ولا عمّه لمح ما يعتمل في صدر ابن أخيه من لهب لا ينطفئ!

ذهبا إلى السـوق لشـراء ما سـيحتاجه هاجد في سـفره المُزمَع مع أخيه صابر إلى أمريكا.

بعد أن أنهيا تسوقهما وجدا فضلة وقت قبل حلول المساء.

فرغب هاجد في الذهاب إلى المسـتودع المركزي، سـأل مكرم الذي وافق على الذهاب معه إلى هناك.

كانت هناك أوامر شـراء لا بد أن يُنجزها هاجد، وصـلا وكانت شـاحنة كبيرة محملة بالأجهزة تغادر المسـتودع، هبط هاجد مسـرعًا وسـأل أمين المستودع عن هذه الشـاحنة وإلى أين سـتذهب والوقت مسـاء، ارتبك أمين المسـتودع وتأتأ بكلمات مرتبكة، ثم قال وبصـره نحو الأرض: هذه الأجهزة خرجت بأمر الأستاذ هادي.

ما إن سـمع مكرم قوله حتى خرج مسـرعًا يتبعه عمّه وركبا سـيارتهما وأسـرعا خلف الشـاحنة، اعترضـا طريقها وأعاداها إلى المستودع، وأمرا العمال بإعادة الأجهزة إلى المستودع، مضى بعض

الوقت فحضــر هادي، أشــار بيده إلى العمال علامة التوقف، ودخل مكتب أمين المســتودع الصــغير، فزّ أمين المســتودع من مكانه، كان هادي بادي الغضب مهيبًا بجسده الضخم وتورّد خداه من الغضب، صرخ بأمين المستودع دون أن يُلقي بالتحية:

- لماذا عادت الشاحنة ؟

وجّه أمين المستودع نظرمشيرًا إلى هاجد!

صرخ هادي بوجه هاجد: لماذا؟

- الأجهزة التي خرجت من المســتودع لا يوجد أمر صــرف لها من الإدارة!
- هذا ليس شأنك!
- بل هذا صميم عملي!
- أنا المسؤول المباشر، الشيخ صابر هو من يوجه الأوامر وليس أنت!

قام مكرم من مكانه مرتبكًا، قال بعد أن ازدرد ريقه بصــعوبة، هذه الأجهزة إلى أين ستذهب؟

ركّز هادي نظراته المخيفة صــوبه ولم يجبه، بل توجه بنظره نحو أمين المستودع آمرًا:

- قل للعمال يُعيدوا ما أنزلوه من أجهزة... سمعت؟

قال هاجد الذي اهتزّ جسده غضبًا:

- لا، لن يعيدوا الأجهزة، وسيُنزلون الباقي الآن!

- سأقف بنفسي مشرفًا على العمال، ومن يعترض طريقي....!

دارت عيناه الشريرتان عليهما، ولم يُكمل جملته!

صـــباح اليوم التالي وجد هاجد على مكتبه خطاب إنهاء عمله وطرده من العمل، تفاقم غضـبه وحنقه، شـعر بكراهيته لأخيه صـابر، أخذ الخطاب وتوجه به إلى مكتب أخيه صـــابر، وقبل أن يفتح الباب توقف، تنهّد بقوّة، قرر في لحظة الانصـــياع لأمر أخيه، وفضّـــل أن لا يشـتبك معه في خصـــام لن يكون فيه المنتصـــر بالتأكيد، ولم يشـــأ أن يســـمح لبروق قلبه أن تلمع في عين أخيه، رمى الخطاب أمام مكتب أخيه ومضى خارجًا.

***

(21)

قهقهات والدها و صابر المتوالية تصلها وهي في المطبخ تُعدّ لهما العشاء، يدعو صابر في نهاية كل أسبوع هادي إلى العشاء والسهر، متعة صابر حين يرى بِدار تزداد مع تعاقب الأيام، بدار كانت صورة أخرى للنساء لم يعهدها صابر، عنايتها بجمالها ولباسها وأحاديثها لم يحظ بها مع زوجته أم مكرم، بدار كانت مختلفة جدًّا، سلالة الجمال الهندي تكسو الجسد العربي بامتلاء فاتن، وابتسامة قُدّت من زهر البنفسج، ودلال أذاب مشاعره وأعاده طفلًا يرضع صدر أمّه، كل ذلك ملك حياة صابر وأمْتَعَه، كان يجد متعة فائقة حين يضع شريط فيديو لمسرحية كويتية، ويجلس بجانب هادي الذي كانت تعليقاته لا تقل متعة وسعادة عن نصّ المسرحية الكويتية، تُقدّم لهما بدار العشاء المصنوع على نار هادئة منذ ساعات، يتناولانه وعيونهما غارقة بدموع الضحك.

سرد هادي على صابر سيرة حياته، منذ أن كان ينام في غرفة حقيرة خلف ورشة بابا محبوب إلى أن أصبح زوجًا لابنته بعد وفاته، وبين كل حكاية وأخرى يجلب ذهن صابر نحو معاناته وحظه المتعثّر، فيقول له صابر إن الحياة هذا هو طريقها، وإنه اشترى الأرض التي خلف مكتبه في وسط البلد حين مات صاحبها واختلف الورثة بينهم

على عقارات لمورثهم من بينها هذه الأرض، وأكمل صـــابر قائلًا وعيناه مصوبتان تمامًا على عينيْ هادي:

قـال لي رجـل من الجنســية اليمنية وكـان يعمـل عنـدي حمّـالًا ويجلس على تنكة في باب المحل، لماذا لا تشــتري هذه الأرض؟ سألته مازحًا: ماذا أفعل بها؟ ضحك الحمّال وقال تؤجرها لأصحاب الناقلات، فلا تقف فيها ناقلة دون أجر!

ضحكت من سذاجته، أحسستُ بعينيّ تنطبقان كأنما تناو شتهما أحلام مهوّمة، وحين عُدت إلى البيت وقبل أن أدخل في النوم ســرى إلى ذهني هاجس هذه الأرض، قلت لنفســي: يجب أن أُفكّر فعلًا بشراء هذه الأرض، خمسين ألف متر على الشارع العام، ثم انتكستْ نفسي وأنا أسألها: أين المال؟ فلا أملك إلا ثلاث ناقلات.

في الصباح نقلت هواجسي إلى أخي هاجد الذي نشط لهذه الفكرة فقال، تبيع هذا البيت الذي ورثته من والدنا، وتضــيف عليه ماعندنا من مال، وتبيع الثلاث ناقلات، وإذا نقص المال نقترض ما يكفي!

كان الورثة الذين يملكون الأرض الكبيرة على خلاف كبير، مما جعلهم لا يبـالغون في ثمن الأرض، بـل كـانوا يريـدون الفكـاك من شراكتهم بها.

ثم التفتَ نحو التلفزيون، وأكمل:

- يا هادي الأرزاق تأتي حين يأمر الله بها فقط.

قبل أن يغادر هادي بيت صابر قال له صابر همسًا:

- سأسافر بعد ثلاثة أسابيع إلى أمريكا، لماذا لا تشاركني هذه الرحلة؟
- أتمنى السفر، لكن العمل لن يسمح بذلك كما تعلم، لعلّي في المرّة القادمة أصحبك!

وجد هادي أن مزاج صابر في أعلى مراتبه، اقترب منه وقال له: مضى على زواجكما سبع سنوات...

تمعّر وجه صابر، شعر بكُره مفاجئ لهادي، فأجابه محاولًا صدّه عن إكمال حديثه:

- أعلم ما تريد أن تقول، كل شيء بيد الله، ونحن نستكمل رحلة علاجنا والنتائج جيدة في المستقبل.

كانت بدار هذه الليلة متألقة ناعمة لدنة، وكان صابر يتعجل خروج والدها هادي ليفتك بها.

***

(22)

في ظهيرة قائظة تقف نازان على عتبة باب البيت مترقبة متلهفة، ينهشها الخوف وتتساقط صور سابقة مؤلمة على ذهنها، وتنفرط الأسئلة بين عينيها، لماذا قُبض عليه؟ ماذا فعل هذه المرة؟

قُبض على بدر وهو يمارس اعتداءً جنسيًا على طفل، وشى به أحد رفاقه بعد أن غدر به بدر، اتصل الواشي - رفيق بدر- بوالد الطفل، وأخبره بالمكان، بلّغ والد الطفل قسم الشرطة التي حضرت فورًا للمكان المُشار إليه، وقبضت على بدر متلبّسًا بفعلته الدنيئة.

أخبر هادي نازان بكل هذه المعلومات، كان غارقًا في ألم ثقيل، أضناه الهمّ وبلغ به البؤس مبلغًا عظيمًا، كان صدره يكاد يتفجّر من الغيظ، أيّ حياة هذه التي كلما حاول ترميمها أو صناعتها أخفق! فما إن تستقم أيامه حتى تتوالى عليه مصائب من كل صوْب. دخل غرفته، أغلق الباب بالمفتاح، وتمدد على بطنه، كان يشعر أنه فقير بائس منبوذ، يتنامى حقده وغضبه، يحقد على ابنه بدر.

هذا الشاب الذي لا يرعوي، لا يقدّر ما أصنعه من أجله، كلما بنيت أملًا هدمه بنزواته التي لا تنتهي، كيف سيقبل صابر أن يتزوج هذا المنحرف ابنته رزيل، كيف يوافق؟ أتيتُ به إلى هذا الحي الراقي لأنتشله من تلك الأحياء الموبوءة، لكنه جلب معه نتانته، منذ سكنت

ببيت بدار بعد أن انتقل صـــابر وبدار إلى فيلتهم الكبيرة وأنا أظن أننا تجاوزنا الماضـي بما يحمله من فقر وعوز وأزقة مشـبوهة بالمهربين و بائعي (العرق) والمخدرات، وممارســي اللواط والجريمة، نعم نسينا كل ذلك، أو نحاول نسيانه، لكن بدر أبدًا لا ينسى رغباته الدنيئة القذرة، بل يزداد نهمًا.

كانت نازان تعيش اضــطرابًا وقلقًا على مصــير ابنها بعد فعلته الشــنعاء، خرج هادي من غرفته خائبًا، يســير وكأنه يحمل أطنانًا من الحديد، سألته نازان أين سيذهب؟

رد بتثاقل وبؤس وأسى: سأذهب إلى صابر لعلّه يجد لنا منفذًا!

أمام طاولة مدير مركز الشـرطة جلس صـابر وأمامه جلس هادي، صـابر بهيبته وشـموخه وسـمعته كرجل أعمال محترم، وكأحد أعيان البلد، وأمامه هادي المكتنز لحمًا وشـحمًا وبؤسًـا وحقدًا، كان يكره كل شيء أمامه حتى نفسه، تحدّث صابر بهدوء وأدب شارحًا سبب مجيئه، وكان العقيد على علم كامل بالحادثة وبتفاصــيلها، وجه العقيد كان مضــيئًا وتعلوه ســماحة وطيبة لا تخطئها العين، تناول العقيد قلم رصــاص وأخذ يُقلّبه بين أصــابعه، صــمت للحظات ثم ضرب بممحاة القلم على الطاولة، وقال:

الطفل الآن في المستشـفى لإجراء فحوصـات وبيان آثار الاعتداء الجسدية والنفسية، وبعد أن يأتينا التقرير الطبي من المستشفى نرفقه بمحضـر التحقيق ثم نرسـل المعاملة كاملة إلى المحكمة، خفق قلب

هادي فجأة، وكأنه وقف أمام القاضي، تنفس بعمق وألم، تابع حديث العقيد باهتمام، أكمل العقيد ملتفتًا إلى صابر، تعلم أن هناك حقًّا عامًّا وحقًّا خاصًّا، أما الحق الخاص فلا سلطة لنا عليه مطلقًا، أدرك صابر ما يود العقيد قوله، فطلب من العقيد بتودد أن يؤجل إرسال المعاملة إلى المحكمة عدّة أيام: «ربما استطعنا عمل شيء مع والد الطفل».

استجاب العقيد لطلب صابر مؤكدًا أنه لا يستطيع تأجيلها أكثر من يومين بعد وصول التقرير الطبي من المستشفى!

خرج صابر وهادي من مركز الشرطة يلفهما الصمت والتفكير، ركبا سيارة صابر التي يقودها هادي، قال صابر وهو ينظر إلى الأمام وقد لاحت له ابتسامة بدار: غدًا ربما يكون أول أيام رمضان، ورمضان شهر خير فلنتفاءل.

في الغد وبعد صلاة الظهر حضر والد الطفل، كان صابر وهادي يجلسان في المقاعد في ناحية مكتب العقيد، جلس والد الطفل بجانب مكتب العقيد، بعد أن شرح له العقيد طلب والد الفاعل مقابلته تبرّم وغضب، حاول صابر تهدئته وبيان أن ما فعله بدر كان جريمة وفعلًا دنيئًا، وطلب منه العفو عنه، فاستشاط والد الطفل، وقام من مكانه غاضبًا ولم ينجح العقيد في محاولات تهدئته، وأوضح أن له الحق الكامل في محاكمة بدر، تدخّل صابر ثانية ملمّحًا إلى أنه على استعداد لدفع أي مبلغ مقابل العفو عن بدر، فما زاد ذلك والد الطفل إلا هياجًا وانفعالًا، فترك المكتب مغاضبًا.

شــكر صــابر العقيد على منحه هذه الفرصــة، وخرج يتبعه هادي مخذولًا مقهورًا.

وصلت السيارة إلى بيت صابر، ترجّل منها، ثم عاد وأدخل رأسه في نافذة السيارة وقال: أمامك ساعات قليلة يجب أن تتصرف قبل أن تذهب المعاملة إلى المحكمة وعندها.. ثم هزّ صــابر يده ورأســه في حركة واحدة!

أومأ هادي برأســه موافقًا، وحين تأكد هادي من دخول صــابر بيته وإغلاق الباب، بصق عليه، ثم بصق على صورته في المرآة العاكسة، سار بسيارته لاعنًا كل شيء أمامه، وأولها حظه السيئ.

كانت نازان تترقب حضــوره، أجرى اتصــالات عديدة يبحث عن مكان عمل والد الطفل، فلما علم بمكان عمله قال لنازان: جهزي لي الغداء بسرعة!

ألست صائمًا؟ اليوم رمضان!

تمعّر وجهه وشــعر بالقرف والتقزّز من ســؤالها، فأجاب بإصــرار وتحدٍّ: كيف أصوم وابنك السافل مسجون في مركز الشرطة وأنا منذ الصباح الباكر أبحث عن سبيل لإخراجه!

بعد أن أكل قام للنوم، وقال لنازان الليلة نذهب إلى والد الطفل، ستذهبين معي، وستبكين على صدره لعله يرأف بك ويتنازل!

أي ألم تبعثه الذكريات! أي تحدٍ تجابهه به الأحداث، يسأل هادي نفســه وهو يتقلّب على الفراش كـالمحموم: كيف عرف الملعون أحداث تلك الأيام ثم أعاد تمثيلها؟ كيف أعاد حياتي على نفسه؟

سـرح خياله مع تفاصـيل ذاك اليوم الغابر حين فعل فعلته وهرب، كان الطفل يبكي من الألم، وكان هو يحاول خنقه كي لا يفضــح فعلته، وحين ســمع الصــوت القادم قذف بالطفل وهرب، تبعوه، فازداد ركضــه وهروبه، كان يموّه طريقه كثعلب، وكانوا يلهثون خلفه إلى أن فقدوا أثره!

***

(23)

في مكتب مواعيد العيادات الخارجية للمستشفى العسكري يعمل والد الطفل، كان العمل في مكتب المواعيد يبدأ بعد صلاة العشاء بحسب التوقيت الرمضاني، كان صف المراجعين طويلًا، ومكتب المواعيد خارج المبنى بالقرب من حديقة المستشفى، كانت الإنارة قويّة أمام الغرفة، ثم يتضاءل الضوء حتى يتلاشى، اقترب هادي من النافذة مستأذنًا، طلب من والد الطفل وقتًا للحديث معه، خرج والد الطفل بعد أن جلس زميله مكانه، عرف والد الطفل هادي فورًا، سلّم هادي على والد الطفل وجذبه نحو حديقة المستشفى حيث كان الضوء شحيحًا كابيًا، ما إن رأته نازان مقبلًا حتى سقطت على صدره باكية ناشجة، كانت تبكي بحرقة وصدق، وترجو بإلحاح وتودد، كان والد الطفل صامتًا ينظر إليهما بحيرة، بعد دقائق تراجع خطوة إلى الوراء ثم قال: لا عليكم، أنا تنازلت لوجه الله، غدًا سأذهب إلى قسم الشرطة وأسجل تنازلي!

شكراه، وقبّل هادي رأسه ويده، ثم عادا إلى بيتهما.

قال العقيد: كان والد الطفل ينتظر أمام باب القسم، كتب التنازل ومضى، فرح هادي، فرك يديه بقوّة وقال هل نستطيع الآن أن نأخذه معنا؟

ابتسم العقيد قائلًا القضية لم تنتهِ بعد، سنرفق تنازل والد الطفل مع بقية مستندات المعاملة وننتظر أمر السلطات في الحق العام بعد

أن انتهينا من الحق الخاص، غدًا ستردُنا التوجيهات، يمكنك العودة صباح الغد.

في الصباح حضر هادي لكن المعاملة لم تأتِ بعد، وقبل أذان العصر وصلت المعاملة وفيها توجيه بتخفيف عقوبة الحق العام، قال العقيد لهادي، سننفذ أمر السلطات، وهو القيام بجلد بدر ثمانين جلدة، سأل هادي بخيبة أمل: أين؟

قال العقيد هناك غرفة كبيرة بعد قليل سننفذ عقوبة الجلد ثم تستلم ابنك!

صحيح أن الجلد لم يكن عنيفًا، لكن أثره كان أعنف وأمضى من الجلد نفسه، سقطت نفس هادي وهو يتابع السوط يهوي على ظهر ابنه فيتذكّر هربه، لو أمسكوني لجلدوني وربما قتلوني، كان بدر صامتًا وكانت ملامحه تشي بانتقام من رفيقه الذي وشى به، بعد اكتمال عدد الجلدات ، مضى الجميع إلى مكتب العقيد، وقّع بدر على تعهد بعدم تكرار فعلته.

ركب بدر بجانب أبيه وذهبا إلى البيت، صرخ هادي بارتجاف عصبي، وسأل ابنه لماذا تفعل بنا هذا؟ صمت بدر، وكان فحيح صدره يبعث بحمم أنفاسه، كان مقهورًا عازمًا على الانتقام.

في نهاية شهر رمضان سافر صابر إلى بوسطن، قيل ذهب للعمل وقيل ذهب للعلاج!

***

(24)

الزمن يفرض مساره، وإن بالغ أحدٌ في الغضب والرفض للأحداث، الزمن يفرض إرادته، يُلقم الرافض السماحة فيَلين ويقبل ويتسامح، يشفي الجراح، ويضفي ستارة النسيان على ما كان متوهجًا مؤلمًا، يدور دولاب الحياة فتتغير المواضع، وتتبدّل الأماكن، تُنبت الأرض الجديد، وتلتهم من أرادت مضغ روحه.

كان صباحًا عذْبًا نقيًّا، مكرم يقلّب صفحات الكتب في مكتبته الخاصة في البيت الكبير، يرنّ جرس الهاتف، صوت بدار ينساب بنعومة وهي تسأله: لماذا لا تزورني؟

تذرّع بانشغاله بالمذاكرة..

- البيت بحاجة إلى بعض المشتريات، والدك قال مكرم سيلبي كل طلباتك!
- أبشري، سآتيك بكل طلباتك.

تشكره وتقفل السماعة، يشبك يديه خلف رقبته يرفع رأسه ويفكر سأذهب إلى الشركة وآخذ من أمين الصندوق ما يكفي.

يقفُ أمام أمين الصندوق ويطلب منه صرف بعض المال قيمة المشتريات التي طلبتها بدار، يعتذر أمين الصندوق بخجل، كما تعرف لا أستطيع صرف أي مبلغ دون تعميد!

- لكن أبي في سفر كما تعلم!

- صحيح، هل أذهب بدلًا عنك إلى الشيخ؟
- أي شيخ؟
- الشيخ هادي نائب المدير العام.

يجتاحه حزن جارف، تذكر عينيْ هادي وصـرامة نظراته، خاطب نفسه: صار اسمه الشيخ هادي!

ازدحمت على ذهنه خواطر عدّة، شـعر أنه وحيد.. ولأمر خارج عن إيقاع الزمن رأى وكأنه يهوي داخل قاع، رفع رأسـه وقال: ألا يمكنني التوقيع على التعميد؟

- أعتذر منك أستاذ مكرم، فليست لك صفة إدارية، سأذهب إلى الشيخ هادي وأجلب التعميد!

يقف مبهوتًا، أخذ أمين الصندوق ورقة التعميد وذهب إلى مكتب هادي، وبعد دقائق أقبل هادي بجسده الضخم وعلامات البِشر على وجهه، كان مبتسـمًا تعبيرًا عن شـروعه بالتودّد، وكان ممسـكًا بورقة التعميد ومرحِّبًا أبلغ ترحيب، وضـع ورقة التعميد على مكتب أمين الصـندوق وقال له، مكرم فوق كل التعاميد، مكرم صـاحب الحلال، لا تطلب منه بعد اليوم تعميد.

بِدار تُميل صـوتها بعذوبة، ترجوه ألَّا يغيب، ترجوه أن يأتي لها بطلباتها فورًا.. ينتصـر العرق، يشـق طريقه الآتي من غياهب السـنين، من بين أصـلاب وترائب الرجال، يشـق العرق السـاخن طريقه، لا يفتر.. لا ينتظر، بل يسـير بشـغف إلى مبتغاه الأخير، هادمًا في طريقه

كل تراكمات الطريق، يهدم أول ما يهدم تلك المعتقدات الراسخة في طريقه والتي لا يجسر على هدمها سوى عرق ساخن نابض بتاريخ أحد الأجداد.

مكرم ينتظر مكالمة تطفئ أوار قلبه المشتعل خوفًا على صحة أبيه الغائب، وبِدار تنتظره بقلب فارغ وتنتظر ما يجلبه لها من السوق.

تنغلق مسارب الحزن فلا يسيل أثره ولا يبتعد، بل يعود ثانية موغلًا في العناد والإصرار، يشدخ القلب والعين، ويُطفئ بشائر الصباحات المُنتظرَة، تتذكّر أم مكرم طفولتها فتغرق في الشوق والابتهال، وتتذكّر شبابها الفتيّ حين كانت تسند رأسها بكتف صابر فتجد أن هذه الكتف قد سافرت بها من حياتها.. من أرضها.. من عالمها وطارت بها بعيدًا بعيدًا نحو آفاق خيالية يعجز الشعراء عن استكناه مشاعرها ورغباتها في ذاك الوقت، تعيش العمر بكل تفاصيله الصغيرة والكبيرة بلياليه ونهاراته بسفره وإقامته، تعيش العمر بكل تفاصيل حياتها اليومية وهي ما تزال تشعر أن كتف صابر ما تزال تسند عمرها وحياتها وتفاصيلها.

اليوم يهوي رأسها في الفراغ، يهوي ساقطًا بعنف وارتجاج، وكان لسقوطه أثر، وأيّ أثر!

دبّ المرض متلصصًا، متواريًا، ولج كلص يرقب بيتًا سافر صاحبه، سافر صابر، سافر حين أزاح رأسها المتكئ وأسند بدلًا منه

رأس بِـدار، وســـافر حين غـادر دون أن يودعهـا، فتـك بهـا مرض الإحباط، وقتلتها الخيبات المتوالية منذ أن دخلت بِدار حياتهم.

***

(25)

طرقَ الباب بهدوء، كانت بدار في انتظاره ربما، إذ فُتح الباب مبا شرة، نادت بدار العاملة الحبشية، وكانت امرأة مسنّة جلبها صابر كي تؤنس وحشة بدار خلال غيابه وتنام في البيت لحين عودته، أدخلت العاملة ما جلبه مكرم من مشتريات غذائية وأدوات نظافة، وحين همّ بإغلاق الباب طلبت منه بدار أن يدخل قليلًا ففعل.

كان الوقت نهارًا صيفيًّا، وكان جسدها متوهجًا تحت أشعة الشمس، دخل غرفة الضيوف، اجتاحته دفقة توجّس بثّتها عيناها الشبقتان، البيت ينبض.. يضيء.. الجدران تتحرك عن أماكنها، الباب يتبدّل موقعه فجأة، ينظر عبر النافذة، يُصعق إذ لا يرى زهراته الناطقة، تلك التي كانت متوقّدة تتوهّج بالبريق، يميل بجذعه يبحث عن الشجرة نفسها فلا يجدها، الحديقة التي كانت هنا اختفت فجأة، كان الظلام متآمرًا، نظر إليها متسائلًا..

- سآتي لك بعصير برتقال طازج.

مزقٌ من أفكار سود تدور في ذهن مكرم، شرب العصير، دنت منه بدار، تأوّدت، تضرّج وجهها، كان أحمَرَ قانيًّا.

سألته: هل جرحتُ شعورك؟

خرج وعيناه تغيمان بالدمع، موجوع العاطفة كان، ومستطار الفؤاد، شاهد الموت يخطو أمامه، رأسه مليء بشظايا الألم، هل أكبّته رغبتها على وجهه؟ كان محصّنًا نقيًّا.

كان يتداعى.. يحدّث نفسه: «أتكون هذه المرأة أحبولة إبليس، يا لفداحة ذنب لم أقترفه».

أي ألم يصارعه، أي شكوى يبثّها، أي أفق يستوعب صرخته، هام على وجهه في طرقات يسلكها بسيارته دون وعي، السكون يوشح الشوارع، كان متعجّبًا لاهثًا، ولحظة سعادة لا تبين تحفر قلبه أن نجا من براثن الإثم ومن وحل الخطيئة، كفكف هيجانه بقوّة، تعجّب كيف أتته، بدموع تنوء باحتقانها الجفون! شعر أن الهواء في الشارع خانق كعطن الدهاليز المظلمة.

لما بلغ حجرة مكتبته لم يشعل النور، كانت مكتبته ملاذه الوحيد، وكان يسمع وقع أقدام رزيل، كانت تسير بخطوات عصبية ربما، كان يسمع صوت كعبيْ قدميها يدقان بلاط الدرج، ربما عادت غاضبة من إحدى صديقاتها!

في لحظة تأنيب شعر أنه مذنب، استلّ ورقة من بين أكوام الورق الأبيض، وبدأ يكتب علّ الكتابة تمتص شيئًا من عذابات نفسه اللوّامة، لمعت في ذهنه فكرة الاتصال بعمه هاجد، هاجد رغم فارق السن إلا أنه يمكن أن يُفضي له بما في قَعْر نفسه، إذا ناخ عليه الدهر فليس أمامه غير عمه هاجد، هكذا ظن بل أيقن.

في مكتبته تتغير الأجواء في الخارج، ينقلب الطقس، إشارة وموافقة لحالته النفسية... بدأ هواء عاصف بالهبوب، تحولت العاصفة إلى ريح عاتية، عبر النافذة رأى، إذا بالغيوم الرمادية تتلاقى وتسودّ حتى تصير السماء قطعة من الليل، الريح الهائجة تعبث بأغصان النخيل، رعد ثم مطر تقذف به الريح، كانت الريح تصفّر وتئن، وكأنها تناغم وجعه!

طرقات خفيفة على باب غرفة مكتبه، فتح، فإذا (تيرا) المربية تقف في الباب وتسأله إن كان بحاجة إلى مساعدة، شكرها، ألحّت عليه وقالت: لكنني أراك حين دخلت كنت حزينًا مفجوعًا، هل حدث لك شيء في الخارج. كفكف عبرة كادت تسحّ دموعها على خديه، شعر برغبة في الارتماء في حضن مربيته (تيرا) لكنه صدّ نفسه وقال لها: أنتِ متوهّمة فقط.

رَآه من بعيد، عالج عبرة ملحّة، كفكفها ما استطاع سبيلًا، كانت ممتلئة أسىً، وحين صار عمّه أمامه هوى برأسه في حضنه، طبطب عمّه على ظهره بحنان دافق، حين أفاق مسح دموعه، كان ضوء لامع في عينيه يتكسّر، كان وجهه مخطوفًا بالفزع، رغم كل ذلك فلم يشأ أن يشاركه عمّه في مشاعره الملتاثة جرّاء لقائه ببدار أمسِ، لم يُرِد أن يُدمي قلبه، بل قام بذكاء بارع بتحويل أمواج مشاعره نحو هادي، لينجو من نفسه أولًا، ولكي يستدرّ عاطفة من عمه الحانق على هادي!

المأفون هادي، هكذا بدأ مكرم حديثه كي يعطي عنوانًا لحديثه القادم، تحدّث مكرم طويلًا عن هادي، عن تفاهته ومساعيه ومآربه، هاجد يُنصت بتأمّل وكأنه يكتشف شيئًا جديدًا، كانت نظراته لا تستقرّ، وكأنه يتحفّز للوصول إلى هادي وصفعه، شعر مكرم بعمق تأثير كلماته حين جلّى مآرب هادي في مال أبيه، كان مسحورًا بألق هذه اللحظات النشوى، مسترسلًا بحديثه الخصب، كان يريد أن يدرك هاجد أن كل مسؤوليات العمل ستوكل في يوم قادم إلى هادي وأن هذا ما يسعى إليه.

علم صابر بتدهور صحة أم مكرم، فعاد من سفره، لكنها توفيت قبل وصوله بساعات، اكتنفه حزن حقيقي، شعر أنه مذنب ونادم، احتقر نفسه، وكلما رأى حزن مكرم ورزيل؛ طاف ألم حارق في أسفل صدره، وكان ما يزال حزينًا حتى ألمّ به المرض وأمضّه، قرر الأطباء أن المرارة يجب أن تُزال بعملية جراحية.

وجد صابر من شفع له باجراء العملية في المستشفى العسكري، وفي صباح يوم ربيعي ذهب صابر إلى المستشفى، خرج ودعوات بدار تلاحقه بأن يعود سالمًا معافى.

في اليوم التالي أُجريت العملية الجراحية، وخرج صابر إلى غرفته، وبدأ يتعافى من المخدر شيئًا فشيئًا إلى أن عاد له وعيه كاملًا، كان مكرم في غرفته منذ أن صحبه الممرض إلى غرفة العمليات، مكث مكرم ينتظر بترقّب وألم وخوف، الحزن ما يزال يتّقد في قلبه من فقد

والدته قبل بضعة شهور، كان يحدث نفسه وهو يرى الشارع من نافذة الغرفة، وكانت الظنون تطوف به بعيدًا وقريبًا.

في المساء، وبينما كان يناول والده وجبة العشاء دخلت بدار، قبّلت رأس صابر ولم تلتفت نحو مكرم، جلس الثلاثة في وجوم وترقّب، إلى أن دخلت ممرضة فلبينية وأخذت تفحص ضغط وحرارة ونبض صابر، أنهت عملها في دقائق، وقبل أن تخرج قالت لصابر بلغة عربية ركيكة: إذا كان سيرافقك أحد هذه الليلة فيجب أن تخبرنا كي نعدّ له سرير النوم، أومأ صابر شاكرًا.

قامت بدار ودنت من صابر وقالت له سأكون مرافقتك هذه الليلة، قام مكرم واقترب من والده من الجانب الثاني قائلًا: بل أنا من سيرافقك هذه الليلة، صرخت بدار فجأة في وجهه قائلة: هذا زوجي مستحيل ينام عنده غيري، حاول صابر أن يُنهض ظهره لكن الألم طعنه وأعاده إلى الصمت والتوجّع، صرخ مكرم بغضب وارتعاش مشيرًا إلى باب الخروج آمرًا إياها بالخروج الفوري قائلًا: اخرجي يا بنت الهنديّة، والدك هاربٌ مُطارد منذ سنوات طويلة، استطرد مغمومًا وكأنه يحدّث نفسه: أنتِ أفسدتِ حياتنا، كانت عيناه مغمضتين من الغضب وصوته عاليًا مجلجلًا، أُغشي عليها وسقطت على الأرض، وفي لحظة نُقلت إلى قسم الطوارئ.

شعر مكرم بالخوف من أن تكون بدار فقدت الحياة بسببه، فذهب إلى قسم الطورائ وسأل عنها، فلما أزاح الستارة ورآها قد استعادت وعيها، أعاد الستارة بقوّة ممزوجة بخوف وفرح.

طلب صابر من الممر ضة عدم السماح لأحد منهما بمرافقته هذه الليلة.

وقبل طلوع الفجر شــعر بزوال الألم وبقدر ته على التو جه إلى الحمام لقضاء حاجته.

هل كانت أرض الحمام زلقة، هل تسرّب الماء إلى أرض الحمام، دخلت الممرضــة للفحص الصــباحي، فوجدته ممددًا على الأرض وقد بُعج بطنه مكان خيوط العملية وفارق الحياة.

***

(26)

طرق عنيف على الباب الخارجي، منتصف الليل تقريبًا، أهملتْ الطارق، ازدادت الضربات على الباب حتى كاد ينخلع، خشيت بدار أن يكون هناك أمر طارئ، اقتربت بوجل من الباب، قالت: من؟ صرخ شقيقها بدر صائحًا: افتحي الباب، اندفع بسرعة إلى الداخل، سارت خلفه متسائلة، قال لها بصوت آمر: أين مفتاح الخزنة؟ صمتَ لينفث أنفاسًا تجمّعت في صدره، ثم ركّز نظره على عينيْ شقيقته وقال.. مات صابر، هزّتها رهبة الموت، حاولت أن تحزن، وحين لاح لها وجه صابر خرّت حزينة باكية، كان بدر في عجلة من أمره، قال لها: أين مفتاح الخزنة؟

- خزنة من؟ من؟ خزنة صابر!

يجب أن نرى ما بها قبل أن يأتي مكرم ويأخذ محتوياتها، أحضرت بدار مفتاح الخزنة وناولته له، قال لها سأذهب لأرى ما فيها وأنتِ استعدي للذهاب إلى بيت أبي حتى تتضح الأمور!

كان في الخزنة رشاش آلي وحُقُّ الرصاص وساعة رولكس ذهبية مرصعة بالألماس وآلاف الدولارات، ومستندات وصكوك عقارات وعدد من الساعات الثمينة، جمع بدر كل ذلك في حقيبة ونزل بها، سمع خطوات بدار وهي تهمّ بالنزول، ففرّ بالحقيبة مسرعًا ووضعها في صندوق السيارة الخلفي، خرجت بدار ناشجة مرتدية السواد!

***

(27)

هاجد، رغم تأجّج نفسه وغضبه، إلا أن خبر موت صابر أفقده رشده، تاه كالمخبول بين مكذّب ومُصدّق، لم يعرف كيف يحزن، كيف يتألّم، كيف يبكي، كانت الفاجعة أكبر من كل ذلك، وأكبر من قدرته على استيعابها، مات صابر وأورث مالًا كثيرًا وزوجة في أوج شبابها، كانت الأفكار تتصارع في مخيّلته بين حزن ورغبة، بين أسًى والتفات، بين وجع الفقْد وألم الذكريات.

هاجد الذي كان ظل صابر منذ بداية حياته، صحيح أنه لم يكن يملك قدرات ذهنية مثل صابر، وقد أدرك هو بنفسه هذا الأمر منذ زمن بعيد فاكتفى بمرافقة شقيقه ومساعدته وتسهيل سبل العمل بما يمكنه فعله، فأغدق عليه صابر المال ومنحه ثقة مطلقة لا حدود لها، ولم تقف أيّ حادثة في طريق علاقة الشقيقين، إلى أن وقف هاجد متعاطفًا مع مكرم وهو يرى هادي يسرق المال من مستودعات صابر، حينها استغل هادي علاقة صابر به وبابنته بدار فأوغل صدر صابر ضد هاجد.

الآن يموت صابر، ويرثه ابنه مكرم وابنته رزيل وزوجته وبدار فقط، أيّ لحظات ينتظرها ولا تأتي، وكلما رام قربًا منها ابتعدت، رأى هاجد أن هناك ثمّة فرصة يجب عليه اغتنامها، ويجب أن يبدأ من هذه اللحظة بتشييد جسر جديد بينه وبين بدار، وبينه وبين هادي، يجب

أن يرتق تلك الفجوة بينه وبين هادي التي أحدثها تعاطفه مع مكرم، يجب أن يبني علاقاته منذ هذه اللحظة مع بدار، حين يملك ودّ بدار فقد ملك ثروة صابر وأكمل سيرته الأولى.

كل تلك الأفكار كانت تمور في ذهن هاجد، يؤجّجها بذكرى تلك الإهانة الرعناء التي نالت من كرامته وصغّرته أمام نفسه، تلك الإهانة التي قذفه بها صابر في سورة غضب وانفعال أدمت قلبه وأوجعته، إذ يرى أن صابر لم يُلق بالًا ولا حسابًا لعمر طويل مضى وهما شقيقان متلازمان، كان لصدره فحيح كلما أوغل في تذكّر تلك الحالة المُمضّة حين طرده ولم يمنحه شيئًا، وهو يعرف أنه لا يملك عملًا ولا مالًا، وأنه كان قد باع نصيبه من بيت والده إليه وأنفق المال في تجارب تجارية فاشلة عاد بعدها إلى العمل عنده، كان يريد أن يعيد صياغة نفسه من جديد، ويلبس ثوب صابر، ويأكل من صحنه ومن عرقه!

***

(28)

بعد أسبوع من وفاة صابر أحضر هادي سيارة نقل كبيرة وعمال ينقلون أثاث بيت بدار إلى بيته مستبدلًا أثاثه القديم!

في المساء علم مكرم بهذا الأمر فهاتف هادي قائلًا إن الأثاث من ضمن الميراث، وسيتم تسجيل قيمته كجزء من نصيب بدار في الميراث!

أغلق هادي سماعة الهاتف في وجه مكرم دون أن يقول كلمة واحدة، وفي الصباح أعاد كل ما استولى عليه، ولكنه أعاده مقذوفًا مهشمًا وفوق بعضه في صالة البيت!

النفس الإنسانية عصيّة على الإحاطة الكاملة، تتفلّت من أيّ محاولة للغوص فيها وسبْر أعماقها، وفاة صابر ومغادرته لم تكن أمرًا محزنًا فحسب، بل كانت نقلة بين عالمين مختلفين، تغيّرت النفوس والطباع وحدثت أمورٌ لم يكونوا ينتظرونها أو يتوقعوها، أبانت النفوس نواياها، وانكشفت الأطماع والمؤامرات والزيف والغدر والخيانة، كانت حياته تكتمها أو تؤجلها، ريحٌ عاتية مزمجرة تلك التي لفّت قلوبهم وأيامهم.

حقدت بدار على مكرم كما لم تحقد امرأة على رجل من قبل، منذ تلك الأيام حين طلبت منه إحضار ما يحتاجه البيت من أغذية، وذاك الوقت الذي جمعها به، وكيف قابل إقبالها بهرب مُهين، حقدت

عليه وكتمت حقدها داخل نفسها، وكان حقدها يتنامى داخلها إلى أن سنحت لها الفرصة الآن للانتقام منه!

كانت مليئة بالطمع والشوق إلى مال زوجها، لا تريد أن يستأثر مكرم منه بالنصيب الأوفر، مرض والدها ولم تزره، بل طاش عقلها وفقدت تهذيبها حين رأته يحصر المال والعقار، ظنّت أنها لم تقبض بعد ثمن نفسها، ثمن طفولتها، ثمن شبابها وأنها بهذا الحساب للميراث تكون خاسرة، بدر لا يملك مصروف جيبه، والدها ضعضعه مرض السكري وفتك به، أمها عجوز تئن آناء الليل وأطراف النهار، كل ذلك تجمّع ككتلة حجرية تقذف بها إلى غياهب النسيان وتُعيدها ثانية إلى حظيرة الفقر والعوز!

رزيل كانت أول خطوة في طريق الانتقام «صحيح أن صابر كان لا يطيق اسم بدر، ولا منظره البائس، لكنه الآن في العالم الآخر».

رزيل، شباب ونضارة، مال وثراء، يتيمة الأبوين، وأخ غارق في نفسه، كادت تنادي بأعلى صوتها أن: خُذوني، كي تكتمل معادلة الحياة، تلك المعادلة التي ما فتئت الأيام تجرف الأحداث نحوها، تراوغها بين حين وحين، تُوائم بين أحداث وتنفي أحداثًا أخريات، كل ذلك كي تكسب الأيام قناعتها التي رسمتها منذ بداية هرب هادي، وزواجه من رازان ابنة بابا محبوب.

جُنّ جنونه حين علِم، صرخ: كيف! انطلقت من فمه شظية نار، استند إلى الجدار، في ذاك المساء لم يبرح نفسه، غاص داخله، أبدتْ

له أمشـــاج خيالاته صـــورًا لم يُطق نُطقها، لكن الأيام أرخت عمود ظهره فقبل كل ما ألمّ به، بل ابتغاه تشفيًّا من نفسه.

لم تأبه رزيل به، ولم ترَه أمامها، تحدّثه وكأنه شبح، كانت مأخوذة بلوحة نقشـــتها بدار، لوحة بديعة لأيام نضـــرات يتراقصـــن في انتظار قدومها مُكرّمة مبجّلة كأميرة، منذ لحظة ســـفرها إلى عالم الدهشـــة والعشـــق والغناء نســـيت كل ما عبر أيامها منذ كانت طفلة، أســـقطت تلك السـنوات التي تفصـلها عن طفولتها، قذفت بها في هوّة النسـيان، وولدتْ من جديد.

ها هو بدر يمثُل أمامها بكل خضـــوع وتذلل، يبذل لها مشـــاعره، ويملؤها بنور يشـــعّ في حجرات قلبها، لبســـت زينتها، ودّعت غرفتها المســـكينة، بدر في الخارج تنتظر لحظاته من يســـكّنها، مكرم يقف في صالة البيت يشاهد معادلة الزمن حين تُتقن فعلها.

***

(29)

وجهها مجرّد عينين واسـعتين وأنف مسـتقيم لا عوج فيه، وفم عريض، شاردًا كنت ألهو مع وسوسات أوهامي، أتمزّق بألم عنيف، هي لا تُدرك السرّ الذي بسببه ستتزوج من هذا الفاجر بدر، سرقوها من نفسـها، جمّدوا عواطفها نحوي، أحاطوها بكل الأكاذيب والأضاليل، أتعجب من قدرتي على الاستمرار في الوقوف وأنا أراها تغادر بيت أبي وتغادر حياتي، سيذوي قلبكِ يا رزيل بينهم، ستنضب طراوته، سيقسو ويغدو حجرًا لا يشعر، غمغمتْ، لعلها تتحدّث عنّي في سـرّها، شـعرت نحوها بشـوق متأجج، الحزن والخوف يحزّان قلبي، بين الصوت والصدى، بين وقع كعبيها على الأرض وصداهما في قلبي رجفة لا تقف، أكاد أسـمع حفيف لباسـها، هل ترى وجهي حقًا؟ هل ترصد مشاعري؟ هل تعاندني مشاعري وتختفي فجأة؟ هل هي امرأة بلا ذاكرة؟ هل قذفت بكل ما مضـى من حياتنا؟، من طفولتنا؟ من ذكرياتنا؟ أيّ وقاحة يا رزيل؟ هل أصـمّ جسـدك عواء ذئاب الرغبة فقبلتِ بهذا المُنحط؟ لن أنسى خيبتي هذه يا رزيل، قلبي يطفح بسيلٍ هادر من المشاعر، ما كنت أحسب أن الزمن يتر صّدني، وأن اللحظات القادمة تُنضـجُ لي خيانة من شـقيقتي رزيل، ألمْ يمتقع وجهكِ حين سمعت نداء ملامحي الواهنة، وتوسلاتي وخيباتي؟

رائحة تنزّ من مسام جسدك، رائحة عفنة كرائحة بدر تمامًا، بل هي رائحته، أشعر كأني أُصارع عاصفة كي أعود إلى حياتي قبل أن يتسللوا إليها، فتأبى العواصف أن تفلتني، وتتقاذفني بعيدًا بعيدًا.

وازنتُ الأمر برويّة، هل أمنعها؟ هل أتدخّل في قرارها؟

سأمضي، لا أجد صبرًا يُسعفُ على تحمّل كل هذه الوحدة بدونك يا رزيل، لن أندم، أدرك ذلك، ها أنتِ تباركين خيبتي بنظرة عجلى، جرّت عينيّ وراءها، لن أنساك، سأكابد شطط ما اخترت، سأرمم هشاشتكِ بصبري، غضب يجوس داخلي، حين أتخيل ضحكاتهم وهم يرمون شباكهم عليكِ، يرجف قلبي بعنف وكأنه يتخلّص من شراييه.

كان الصباح عذْبًا، مكرم في مكتبته يطل عبر النافذة على الحديقة المُزهرة التي سمقت أشجارها: «عندما يغيب الأب يتهدّم هيكل الحياة، غمٌ هائل يقرض روحي، أبحث عن ثغرة نجاة من هذا الوهن الذي سكن عظامي، بدأت قشرة الغيوم الرمادية تنحلُّ شيئًا فشيئًا، وتلوح من ورائها زرقة نقيّة كلون البحر، انصرفت رزيل ليلة البارحة وهي تدمدم باكية، ندمت على ما بدر منّي ليلة البارحة من قارس الكلم، صحيح أنها لم تسمعني، لكن قلبي يقول: إنها كانت تُنصت لكلماتي المكبوتة داخلي، فقد استحال لون عينيها إلى أحمر قانٍ، ربما انثالت عليه صور طفولتنا، وربما اندفعت الدماء في شراييها وخفق قلبها بعنف، حين أتذكر كل ذلك أحسّ بالدم يندفع بقوّة إلى

وجهي، رزيل لم يصــقلها الألم فبقيت في عماء الهمجية والطفولة، نظرات رزيل كانت جمرات تحرق أحشــائي، يا للمال الذي أعمى بريقه الأبصــار والأفئدة، أحسّ بشــيء يلذع قلبي حين بات بيتنا ليلة البارحة ورزيل خارجه، ســأقهر الموت وأحابيل الخداع والزيف الذيْنِ يرســمهما هادي وابنه بدر، ســتبقى أحزاني منســية هاجعة في القلب ســتتفجر حتمًا مع خلايا جســدي، قلبي معطوب، وروحي متصدعة، يريدون تغيير حياتهم من الفقر إلى الثراء بفرقعة إصبعين».

***

(30)

بدار تتو غل بقوّة وحقد كحيّة بين الحكا يات، لأنيا بها صـفير مخيف، تخادع اللحظات، تتلوّى بين الظنون، لا تسـتقرّ عند حدس أحد حولها، تلك الفتاة التي غلب عليها جمال الهند واسـتبدّ، أنف صـغير يقف شـامخًا، عيون كحيلة وليس بها كحل، بشـرة تميل إلى السـمرة قليلًا، تلك الفتاة الوادعة التي نبتت بين بيوت الفقراء، أبٌ يعمل في مهنة الحدادة، وأمٌ لا تغادر البيت إلا لمامًا، الآن تحدّر عرقها الأقصـى وتمدد في عروقها، تسـبر ضـحيتها وقتًا طويلًا، وتمدّ لنفسها وقتًا أطول كي تصل إلى مبتغاها، أكثر ما كانت تخشاه هو أن ينهدم خيالها الشاهق في يوم قادم، تسير راجفة القلب، لا حدّ لذكائها، تتذكّر البيت الكبير، حين زار ته لأول مرّة دَمَعَ قلبها، البيت الكبير عالم من المتعة والثراء والأسرار، البيت الكبير الذي كان شاهدًا على أن لصابر مكانًا بين علية الناس، بل كان شخصية عامة بارزة، للحظة خاطفة لمع في ذهنها بيت والدها الشعبي في ذالك الحي الحقير.

قذفت ببصـرها أمامها تسـبر الطريق إلى حلمها المنتقم، هاهو ينتظر هناك، منبوذًا يحو طه فقر وحقد، سـلّطت عليه بدار نظراتها فالتهمته دون أن يشعر، بل ما كان بعد ذلك ماهو إلا صيرورة الوقت، كان سريع الموافقة، بل كان متحمّسًا لإكمال بقية صحن أخيه الذي تركه دون أن يُكْمله، صـرخ هاجد حين علم أنه مطلوب للزواج على

الفور، تأتأ قليلًا، اهترأت الكلمات فوق لسانه، أراد أن يرتّب أفكاره، أن يتلذذ بسماعه، لكن الأمر كان حاسمًا لا يقبل النقاش، تتزوّج من بدار وتسكن في البيت الكبير.

أوّل صورة سقطت على ذهنه وهو في حال الارتباك كانت صورة صابر حين طرده من عمله بسبب كشفه اختلاس هادي، كانت الصورة تؤلمه كلما استدعتها ذاكرته، فيما بعد سيجلس مكان صابر تمامًا في صالة البيت الكبير، سيحضن زوجة أخيه بدار، وسيتنعّم ببيته وماله وسمعته!

كتب مكرم في دفتره الخاص: «أشعر برغبة محمومة في الانسلاخ من هذا العالم، أريد أن أعود إلى الحضن، إلى المخدة وافرة النعومة التي سندت رأسي صغيرًا، تأكلني مسامات جسدي المتوقدة الراعشة، تتوق إلى مسحة ناعمة من يدها الحانية، أشعر أني أفتقدها، أحتاج إلى أن أدسّ وجهي ودموعي بين أعطافها، (تيرا) ومن غيرها يملك لمّ شعث نفسي، من غير(تيرا) نبع من الحنان وتدفقات مشاعر لا تنضب، أين أجد حضنًا بنعومة حضن (تيرا) الذي خبِرتُهُ صغيرًا وشغُفتُ به كبيرًا (تيرا)، أي عالم من الظلال، أيّ واحة تمتصُّ لهيب روحي المتوقّد، (تيرا) وتنبثق الأيام الأولى حين كانت تلمّ دمعتي، وتمسح غضبي، (تيرا) أيّ قدر جعلك تنتظرين فاقتي ونهاية عالمي كي تمنحيني دفقة أمل أن هناك في هذه الأرض من يمكن أن يربّت على رأسي، أن يحضنني بقوّة وشبق، (تيرا) هديّة روحي وماء عطشي

وسكون الليالي الصاخبات، (تيرا) حيث لا هاتف يُهدد، ولا قاضي تنخسني عيناه بشكٍّ، ولا شقيقة تحفرُ قلبي بقدمها ثم تركله بعيدًا! (تيرا) حيث تخمُدُ عيناي بعد طول سهر في سبات عميق لا تنتابني فيه سياط الأحلام الكابوسية، (تيرا) ومن سوى (تيرا) تحضن طفلها القديم ليكون زوجها؟!

يلتقط بدر هذا الخبر، يدسّه في أذن رزيل بخبث يُتقن صنعه، يضيف كاذبًا أن شرطها أن يتنازل عن ماله لها، تستشيط رزيل غضبًا وتصرخ وقد أنضب غضبُها دَمَها من وجنتيها:

هذا جنون، يتزوج من خادمة البيت! وتكبره بعشرين عامًا!

يرقّ بدر لها، يحضنها، فيخفت اندفاعها وهيجانها، لكن ضربات قلبها المتتابعة لم تهدأ.

أليست (تيرا) هي التي قامت بتربيته واحتضانه منذ طفولته؟

صحيح، هي قامت بتربيته وكفى.. أما أن يتزوجها ...

ربما ليغيظكِ!

أحنت رأسها بحزن ثقيل وهي تردد.. ربما.. ربما..

***

(31)

طرقتُ عليه الباب دون سابق موعد، كنتُ مرهقًا يائسًا تعِبًا، كان بدر يضع السيجارة بطريقة غريبة في زاوية فمه، شفته العليا تتحرك بطريقة سحرية، والسيجارة في زاوية فمه كأنها جزء من لحم شفته الأسود من أثر التدخين، كان رأسه متدليًا من النشوة، قلتُ له: أنا قادم إليك لتنقل إلى رزيل موافقتي بالتنازل عن كل ما أملك، عن ميراثي من أبي، عن البيت الكبير عن كل شيء.. عن كل شيء، لا أريد إلا أن تتصل علاقتي بها، وما عدا ذلك فلا أريده.

سمع بدر كلماتي، بل تلمّسها بيديه، بدأ يصحو، وأخذت تزايله تلك النشوة العمياء، رفع حاجبين كثّين وسأل: هل أنت جادّ في حديثك هذا؟ قلت له لو لم أكن جادًّا لما طرقت باب بيتك!

هوّة سحيقة تفصل عالمينا، الآن أنا أُقدّم له كل أملاكي مقابل أن يُعيد إليّ صلتي بأختي فقط، أشعل سيجارة جديدة، تنفّس بعمق وقال: الحياة ليست حصرًا على عائلة صابر فالكون للجميع!

رددتُ عليه:

- الحياة ليست حصرًا لأحد مطلقًا، الحياة لمن يستحقها..

ابتسم بقناعة كبيرة وقال وهو يهزّ رأسه:

- نعم، صحيح، الحياة لمن يستحقها، تعب والدي عشرات السنين، عمل عتّالًا وحدادًا وعاش بين العمال الهنود

والباكستانيين، أتُصدّق أن العمال المساكين كانوا يعطفون عليه بكسرة خبز وجرعة ماء، كل ذلك بينما كان والدك صابر يتنعّم في جبال سويسرا والنمسا، هل تعلم أن والدي هادي ووالدك صابر كانا في العشرين من العمر يعملان معًا في مكتب لنقليات البضائع، لكن الحياة لم تشأ أن تعطيهما من كنوزها بالتساوي، فعاش أبي عيشة الكفاف وعاش والدك...

قاطعته:

- والدي كان يعمل بعقله واستطاع تكوين ثروته بذكائه واجتهاده..، كنّا نعيش حياة ناعمة، كنا قبل أن تدخلوا حياتنا لا نعرف للبؤس طريقًا!

سقطت أحداث تلك الواقعة حين أخرجه صابر من السجن في قضيته الأخيرة، حدّث نفسه: «كانت السلاسل تقيّد يديّ وقدميّ، لم أتوقع أن أرى جموع الناس حول بيت صديقي الذي اقتحمه رجال الشرطة ليخرجوني منه مكبّلًا بالكلبشات، نظرات الآباء الذين عبرتُ ذات يوم على أبنائهم وبلعوا غيظهم كي ينأوا بأبنائهم عن خزيٍ يلازم حياتهم، نظراتهم تحفر في نفسي أخاديد كاوية، كانت نيوب الآباء تعلك لحمي بحقد وغيظ وكُره، وكان والد الطفل الذي بلّغ عنّي وتابعني إلى أن تم القبض عليّ واقفًا يضع يده على كتف ابنه، كان منظر الجموع عقابًا حين أتصوّر سماع أبي تفاصيل ما يجري الآن، تقدمت عدّة خطوات في اتجاه سيّارة الشرطة، يدفعني العسكري،

بصــق والد الطفل في وجهي، حاولت رفع ذراعي لإزالة بصــقته، فنخسني آخر بعصا في خاصرتي

رأى أنه غاب عن مكرم طويلًا، اعتذر منه، قام ليفتح له باب الخروج، خرج مكرم وهو لا يثق ببدر ولا بوعوده.

خرج مكرم مكدود الخاطر، لم يكن منفعلًا ولا مشــحونًا بأيّ رغبة، بعد أيام قابل عمه هاجد قرب بيت والده، تصــافحا واتفقا أن يذهبا لمقهىً قريب يتناولان فيه القهوة.

قررت أن أدخل مع عمي هاجد في حوار عقلي، كان يخترقني بعينين غريبتين لم أعهدهما هكذا من قبل، وكانت قافلة من الدموع تنهمر في قلبي، تأمّلتُ ملامحه جيّدًا، وكأني أمام إنســان لا أعرفه، تراقُصُ خدّيه، اضطرابُ حركته، نظراته المتفلّتة، لم أغب عنه سوى بضعة أشهر، شاخ وشاخت ملامحه، انطفأ ذاك الوميض الذي كان يلمع في عينيه، الآن أراه وكأن ســنوات طويلة مضــت على لقائنا الأخير، كنت قادمًا إليه كي أعاتبه وكي يجد لي مخرجًا، لكن ظني سقط بين يديّ وأنا أراه أمامي لا يكاد يسند جملة واحدة حتى نهايتها، قلت له: إني أوافق على ما تمّ من تزويج رزيل ببدر والذي باركه هو بنفســه، أومأ ولم يتكلّم، قلت له أبارك زواجك ببدار، ابتســم وهزّ رأسه ثم صمت، انتظرت إجابته لكنه كان مشتتًا من أمرٍ ما، ثم قال إنه يعيش الآن مع بِدار في البيت الكبير، طلبتُ منه إمهالي ســاعة واحدة

أُودّع فيها بيت أبي، سـمح لي، رافقني إلى أن دخلت بيتنا الكبير، لم تكن بِدار في البيت، جلس ينتظرني في صالة البيت.

بدأت أطوف في كل غرفة، رأيت الحزن ينيخ في الغرف المغلقة، وقفت طويلًا في كل غرفة أسائلها عن الحنين، عن الأصوات الحميمة، عن لحظات العبث والهوى، ثم وقفت في غرفة رزيل وبكيت، وتذكرت كل شيء، تذكرت رزيل في كل حالات وجودها في الغرفة متمددة على السرير، تقرأ، تتحدث عبر الهاتف، تكتب...

ما أزال حائرًا هل كان الألم موجعًا إلى هذا الحد، هل كان أبي قاسيًا جدّا حين طرد هاجد من البيت ومن الشركة ومن حياته!

***

(32)

مفتت من الداخل، يشعر بالمرارة وحسّ الفقد، يبحث عن أرض ممهدة تُقلّ خطواته، أرض لا عوائق فيها ولا بشَر، «نهشوني يا أبي»، يتوسّد صدره ويحكي لنفسه كل ما عبره من طرق تائهة، أين أنت يا أبي؟ أنا بحاجة لأن أبكي فوق عنقك، تغزوني خواطر سود، لا أدري ماذا يفعل بي الغد، موتك يا أبي ارتسم على جدار ذاكرتي وشمًا لا يريد أن يغادر، رزيل جثّة متعفّنة داخلي، لا أُريد أن ينوء ضميري تحت وزرها، قلبي يذرف الألم القديم والجديد، عبراتي كانت تنساب في محاذاة أنفها، كانت تشمّ رائحة دموعي، وكان رغباتها تلوي عنقها فتموء كقطة بريئة.

قلت لها: تفيض على وجهكِ علامات الخداع، تحاولين القفز عليها في كل مرّة تشعرين بوقع نظراتي على عينيكِ، وتتأرجحين في مشاعرك، غصنين كُنا، لشجرة وارفة الظلال، تغرس جذرها في الأرض وفرعها يطاول عنان السماء. أبٌ وأمٌ رحيمان مشفقان تفيأنا ظلالهما، ونعمنا بطفولة مثالية جدًّا، نتقلّب في رغد عيش، وحياة بِكر، أشعلي ذاكرتكِ، بين جوانحي حنين سرّي غامض لك يا رزيل الصغيرة، سأرعاه وأُنمّيه ليزدهر في كهف قلبي مدى عمري القادم، كان ذلك قبل أن يقتحمنا الوباء، أتذكرين حين كنا نذرع قرية سيفيلد في النمسا طولًا وعرضًا - وكيف نهيم على وجهينا في تلك الغابات، وكيف كنّا نمرّغ أوقاتنا قبل أن تلج حياتنا هذه العائلة الطافحة من أوحال الدناءة.

أشعلي ذاكرتكِ يارزيل، لن أقتلك في خيالي ولا سبيل إلى ذلك.

صدر للكاتب

1. **نزوة**، مجموعة قصصية، 1991.
2. **انعتاق من ذات مهملة**، مجموعة قصصية، 1995.
3. **تجليات الطرق الخلفية**، مجموعة قصصية، 1999.
4. **للحياة لون آخر**، مجموعة قصصية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2002.
5. **حدثتْني فقالت**، مجموعة قصصية، دار أزمنة للنشر والتوزيع، 2011.
6. **ضجيج قلب**، ديوان شعر، دار أزمنة للنشر والتوزيع، 2013.
7. **أيام لا تذبل فيها الورود**، ديوان شعر، دار أزمنة للنشر والتوزيع، 2013.
8. **هل كان قلبي معي**، مجموعة قصصية، 2014.
9. **من أطفأ شمعة أمس؟**، مجموعة قصصية، دار أزمنة للنشر والتوزيع، 2016.
10. **ليلى.. أين أنتِ؟**، بوح، دار أزمنة للنشر والتوزيع، 2017.
11. **ريحانة الأدباء**، مقالات أدبية، مطبعة الحميضي، الرياض،2017.
12. **عُقبى الدار**، رواية، دار المفردات للنشر والتوزيع، 2018. ط2، دار أزمنة للنشر والتوزيع، 2019. ط3، دار أثر، 2021.

13. **أين الصباح؟**، مجموعة قصصية، النادي الأدبي بالرياض، 2020. دار أثر للنشر، 2021.
14. **وكان شقيًّا**، رواية، مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، 2020.
15. **برايتون ذكرى الورد والمطر**، دار سطور للنشر والتوزيع، 2021.
16. **الأعمال القصصية الكاملة**، دار سطور للنشر والتوزيع، 2021.
17. **متى يصمت الأمس؟**، مجموعة قصصية، الآن ناشرون وموزعون، 2022.
18. **بدار.. نبتة ماء آسن**، رواية، الآن ناشرون وموزعون، 2022.

تم بحمد الله